يا صاحب المدد

اسم الكتاب: يا صاحب المدد
اسم الكاتب: خيري حسن
تصنيف الكتاب: أدب سيرة
تصميم الغلاف: أمنية محمد
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى– 2020 م
رقم الإيداع: 2020 / 20615
الترقيم الدولي: 978 – 977 – 6652 – 07 – 5

arabiclibrary2017@gmail.com
almaktaba79@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
01030365801 - 01014977934

للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوزاستخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة،دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

يا صاحب المدد

سيرة شاعر ومسيرة وطن

أدب سيرة

خيـري حسـن

وقـــائـع ووثائق وشـهادات

ســـرقة أشعـــار زكي عمـر

إهـــــداء

إلى.. زكي عمر..الإنسان..الذي مات "ناقص عُمر"

وإلى.. زكي عمر..الشاعر..الذي عاش "ألف عُمر"

مدد .. يا صاحب المدد...

أليست هذه مقدمة.. كافية؟!

خيري حسن

المعادي ـ 2020

- الكلمة
- ملعونة الكلمة
- إن جت من عالي لتحت
- ملعونة الكلمة
- إللي ما تطلع من تحت لفوق
- ملعونة الكلمة
- إن خافت تطلع فوق!

(1)

(مدينة المنصورة ـ 1938)

على أطراف تلك المدينة، البعيدة، الجميلة، التي تقع في قلب الدلتا شمال شرق العاصمة (القاهرة) توجد قرية صغيرة، وفقيرة، كحال غالبية القرى المصرية حينذاك اسمها كفر الأعجر. فى يوم 23 نوفمبر من ذلك العام، ولد في هذه القرية طفل اسمه زكي محمد إبراهيم عمر(اسم الشهرة زكي عمر) لأسرة أكثر فقرًا من قريته، والقرى المجاورة لها. له أخ اسمه "محمد" يصغره بثلاثة أعوام. وأخت اسمها (أم محمد) ـ هذا اسمها وليس لقبهاـ أصغر منه بستة أعوام. والأسرة لا تملك من متاع الدنيا غير عزة النفس، وعرق الجبين، ومحبة أهل القرية الطيبين، وحكايات وضحكات ليالى السهر تحت ضوء القمر، بجوار الساقية البحرية، ووابور الطحين.

***

(محافظة الدقهلية ـ 1973)

فى مدينة المنصورة عاصمة الإقليم، كانت تصدر مجلة ثقافية، مسرحية، غير دورية، اسمها "المنصورة".. ينشُر فيها الشعراء والكتاب من أبناء الإقليم إنتاجهم، وإبداعاتهم، وكتاباتهم المختلفة، والمتنوعة. في العدد رقم 15 لشهر ديسمبر من ذلك العام، نجد مقالًا للشاعر زكي عمر، بقلمه يتحدث فيه عن نشأته، وتكوينه، وبداياته، وأحلامه، وآماله، وأحزانه، قائلًا: "أمي كانت تناديني باسم محمود؛ لكن أبي أصر على تسميتي باسم زكي؛ لأن له صديقًا

"مغنواتي" كان يحمل نفس الاسم.. أبي أحبه بشدة على المستوى الإنساني، وعشق صوته كلما، غنى الغناوي، وأنشد المواويل، خاصة موال أدهم الشرقاوي:

ومنين أجيب ناس لمعناة الكلام يتلوه

شبه المؤيد إذا حفظ العلوم وتلوه

الحادثة اللى جرت على سبع شرقاوي

الاسم أدهم.. لكن النقب شرقاوي

مواله أهل البلد جيل بعد جيل غنوه.

وعندما كبرتُ احببتُ اسم زكي مثلما أحبهُ أبي لأن صاحبه كان فنانًا مخلصًا لفنه، يغني للفلاحين الغلابة الشقيانين، حكاياتهم، وأوجاعهم. وأحببتُ في نفس الوقت موال "أدهم الشرقاوي"على وجه التحديد، مثلما أحبهُ أبي، حيث كان دائمًا مغرمًا به إلى حد العشق! أبي كان دائمًا معجباً بأدهم الشرقاوي.. أدهم الإنسان.. وأدهم الموال:

"كان في البلد باش أغا

حاكم لكن غدار

مسخر أهل البلد.. في زراعته ليل ونهار

اللي يخالفه يا ويله.. كان عذابه شديد

حاكم بأمر ومُستعبد كبار وصغار"

لقد عاش أبي بلا عمل.. وبلا أرض.. وبلا بيت، هكذا تركه أبوه. وكان عليه أن يعمل أجيرًا، أو عاملاً زراعيًا، بسبعة قروش في اليوم؛ لكن هذه القروش القليلة لم تكن تكفيه.. ولم تكن تكفينا.. وأصحاب العمل، بلا رحمة،

وبلا ضمير، وبلا قلوب تُؤويه، وتُؤوينا، وتحميه، وتحمينا! ومن هنا.. ووسط هذه الظروف الصعبة، المريرة، القاسية تمرد أبي.. ليجد نفسه مثل أدهم الشرقاوي يفْرضُ إتاوات على الأغنياء، ويعطيها للفقراء، نظير غفر زراعاتهم حتى لا تُحرق أو تُدمر. وكان يصحبنى معه في ليالي الشتاء الشديدة البرودة، وأيام الصيف الرطبة الحارة. وكنت في الظلام أحيانًا ـ وأنا أمشي بجواره ـ تصطدم قدمي بالأرض.. أقع، وانهض.. أقع.. وأنهض، المرة تلو الأخرى، إلى أن أجد يده الخشنةُ، العفيةُ، تُشدنى.. ثم يصرخُ فيَ أن أقاوم.. واتحمل.. وأن أواصل السير خلفه. كان يعاملني كرجل في الثلاثين.. وهو يغني لي المواويل التي تعلمها من صديقه زكي. معجب أنا بأبي؛ لأنه كان يحب الفقراء.. فهو لم يسرقُ من محتاج، ولم يظلم فقيرًا، لا في قريتنا ولا في غير قريتنا. كان أبي دائمًا وقت العصاري، يجلس في مدخل القرية، يراهن على"كسر" عشرة عيدان من القصب بضربة واحدة من يده، وبالفعل يكسب الرهان. كان يفعل ذلك لنجد الطعام نأكله، والملابس"الدمور" نلبسها! أنا أُحب أبي جدًا؛ لقد علمني ما لم أتعلمه في مدارس المدينة. شدني إلى قريتي، وكل قرى مصر.. حيث الفلاحون، والأُجراء، والليل الذي ينتظر النهار!

"ولما قالوله يا أدهم.. ليه؟ قتلته ليه؟

قال: ولما انقتل عمي عملتم ايه؟

حكموا عليه.. ينسجن وحده في زنزانة

قام انتنى وانفرد.. ما همه زنزانة

وقع حطانها وهرب.. والبحث جاري عليه"

أمي.. كانت عكس أبي. فهى امرأة طيبةُ، ومسالمةُ. عاشت معه الصعب بشجاعة نادرة. ورغم سنين التشرد، والجوع، والفقر لم ألحظُ في عينيها دمعة.. صابرة كانت أمي دائمًا وهذا شيء لا أحبه.. ولا أطيقه. لماذا لم تغضب؟ لماذا لم تثُر على أبي، لماذا رضيت به زوجًا وهو الشارد، الجامح، الطايح؟ هل لأن لها أبناء منه تحبهم؟ لا أدري! ما أعرفه إنها كانت جميلة، ومخلصة، وعظيمة، وأمينة، ومجدة جدًا لأعمال "الغيط"، لكي تضمن أجرة كل يوم. في طفولتي لم ألعب، لم أضحك، لم أفرح.. وقد يكون هذا هو السبب في إني أضحك الآن من كل قلبى، وأغني، وأرقص، وأبحث عن لحظة السعادة لأعيشها. اليوم أحب الحياة، وأحب كتابة الشعر. أنا لم أتعلم في المدارس شيئًا يفيد الفلاح. كل ما يهم الفلاح تعلمته من الشارع، والغيط، والناس.

الحرية.. دعوني أحدثكم عن الحرية، هي أمنية بالنسبة لى فلا تحرموني منها.. لأنى مُصر على الحصول عليها. وأنا أرفض أن أمارس الحياة على طريقة أمي التي ماتت ونفسها في جلابية "سكاروته"! أنا أكره النفاق، وأكره الكذابين، وأحب الكهرباء، وأتمنى لو تنار في قريتي الشوارع والإنسان. كما أني أحلم أن تسنح لي الفرصة لأطلّق الوظيفة الميري.. وأبني بيتنا في قريتي أعيش فيه مع الفلاحين أصدقائي وليس ذنبي أننى أحمل في جيبي شهادة دراسية تفرض عليّ أن أكون موظفًا، أُوقع في دفتر الحضور والانصراف. أنا موظف فاشل؛ لكن أنا فنان، أنا عصفور كناريا يحب أشجار الكافور، والصفصاف، والتوت، ونهر النيل، وهو يمر بجوار البيوت. البيت.. دعوني أحدثكم عن البيت، وعن الإنسان عندما يكون بلا بيت، وبلا عنوان. في طفولتي المبكرة لم يكن لنا بيت معين.. كنا نسكن أي حجرة خالية في أي مكان بالأجرة،

وحين يحتاجها صاحب البيت لشغلها"بالتبن"(هو نوع من أكل الماشية في الريف المصري) أو(لعجل جاموس) ولد حديثًا، كان علينا أن نبحث عن مكان آخر نعيش فيه، ونترك المكان لـ (التبن) أو (لعجل الجاموس)! وأحيانًا للفئران، والصراصير، والهاموش، والناموس!

"قاله صباح الخير يا باشا
أنا جبت لك الفطور ونسيت أجيب لك العشا
قاله يا خوفي يا صاحبي يكون لي ده آخر عشا
وفي لحظة داس ع الزناد طلع العيار صايب
لا كل فطوره ولا استنى ميعاد عشا"

*****

(القاهرة 1938)

عندما نترك مدينة المنصورة وقراها، ونغلق أبواب قرية كفرالأعجر على ما فيها من أحلام مسجونة، وأجساد معلولة، وعقول مشحونة، في ذلك العام الذي كانت غالبية دول العالم فيه تستعد للحرب العالمية الثانية (سبتمبر 1939 ـ سبتمبر 1945) ونعود إلى القاهرة، نجدها فى حالة من حالات التوتر السياسي، والصراع الحزبي العنيف بين حزب الأغلبية (الوفد) وبين أحزاب الأقلية، في ظل خلافات، ومناقشات، واتهامات، ومؤامرات متبادلة ما بين السلطات الثلاثة التي كانت تحكم مصر ـ حينذاك ـ من داخل قصور الحكم (قصر الدوبارة وقصرعابدين وبيت الأمة)! هذا الصراع، والخلاف، والاختلاف، والدسائس، والسياسات، والمؤامرات، لم تكن تشغل بال الغالبية

الكاسحة من فقراء، وأُجراء القُرى، والنجوع من أقصى الصعيد إلى أقصى الدلتا.

لقد جاء هذا العام (1938) ـ الذي ولد فيه زكي عمر ـ ودَخل المواطن فيه لا يتجاوز 9 جنيهات سنويًا، في حين وصلت ثروة الملك فاروق من الأرض الزراعية ـ فقط ـ بعد وفاة أبيه الملك فؤاد في (إبريل 1936) إلى 13 ألفًا و400 فدان، ثم ارتفعت إلى 96 ألف فدان، قبل تنازله عن العرش للضباط الأحرار في (26 يوليو 1952). وإذا ما أضفنا أملاك الأوقاف التي كان يديرها، ويستولى على إيرادها، لتدخل في أملاكه الزارعية ـ كما يقول أحمد بهاء الدين في كتابه "فاروق ملكًا"ـ فإنه يكون بذلك قد أصبح مسيطرًا على حوالي مائتي ألف فدان! وباختصارـ كما يقول محمد حسنين هيكل في كتابه (سقوط نظام.. لماذا كانت ثورة يوليو 1952.. لازمة؟) ـ"فإن مساحة الأرض الزراعية في مصر قبل ثورة 1952 وقبل السد العالي كانت في حدود خمسة ملايين فدان، تتوزع ملكيتها على النحو التالي:

ـ مليون فدان للخاصة الملكية والأوقاف الملكية الخاضعة لإشرافها.

ـ مليون فدان للأسرة المالكة والأوقاف الخيرية الخاضعة لإشراف تفاتيشها الكبيرة.

ـ مليون فدان للأجانب (شركات وأفراد)، وقد بدأ هؤلاء يبيعون أجزاء كبيرة من أملاكهم في أعقاب انتهاء الحرب العالمية الأولى ومع ظهور بوادر حركة وطنية واجتماعية تأثرت بالمناخ العالمي السائد (بعد تلك الحرب)، وجد هؤلاء الملاك من الأجانب (شركات وأفراد) مشترين من أغنياء الصدفة (أثرياء الحرب) يقبلون على الشراء استكمالاً للمكانة الاجتماعية.

ـ مليون فدان للأسر المصرية الكبيرة التي تملكت مساحات شاسعة من الأرض الزراعية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، خصوصًا بالشراء من أملاك الدائرة السنية عند تصفية ديون الخديو إسماعيل.

ـ مليون فدان لكل الفلاحين (حوالي 15 مليونًا من تعداد سكان يصل إلى21 مليونًا) يعملون بأنفسهم وأولادهم وزوجاتهم على رُقع متفرقة من الأرض الزراعية، يحتفظون بملكيتها بما يشبه معجزة تتكرر كل موسم"! وكان هذا التوزيع لملكية الأرض الزراعية تركيبًا طبقيًا مقسومًا بالتساوي ما بين سيطرة الاستبداد وسيطرة الفقر. وهذا في مجمله يعني أن مساحة الأراضي الزراعية في مصر كلها، كان يعيش فيها خمسة عشر مليونًا من البشر؛ وأن الأرض الملكية في حد ذاتها كان يعيش فيها ستمائة ألف مواطن، هم في واقع الأمر عبيد..عبودية خاصة لجلالة أفندينا الملك المعظم. ومن لم يكن بين عبيد جنابه، نجده ضمن عبيد باشاواته في التفاتيش، والأبعديات، والوسيات. تلك الاقطاعيات الزراعية المهولة التي كانت تمتلكها طبقة النبلاء من حضرات السادة البكوات والباشاوات. والتى يُساق إليها الفلاحون كل صباح قهرًا للعمل من أجل قروش زهيدة، مغسولة بعرق الصبر ومرسومة على أجسادهم بلون الحبر.

"كفر الأعجر قرية
والقرية في رأيي الشعرا ـ مثلاً ـ والكُتاب
عصافير بتزقزق ع الشباك، وع الأبواب
صفصاف بيداعب وش المية، مع اللبلاب

وقمر، ونجوم، وهديل كروان
وهدوء، وأغاني، وراحة بال.. وأمان
لكن الأغرب في الموضوع..
أحيانًا.. ننسى ما في القرية من إنسان

*****

(كفر الأعجر ـ 1948)

بعد مرور 10 سنوات تحسنت الحياة بعض الشيء في القرية. وأصبح للأسرة مكان تحت السماء تعيش فيه؛ بعدما وجدت ـ بشق الأنفس ـ مكانًا تحت ضل شجر الكافور،على ترع ومصارف البلد يؤويها من القهر. ووجدت بعد العناء، والشقاء، والبلاء دارًا لها جدران، وجدرانًا لها عنوان، تعيش فيه دون مزاحمة من"كوم التبن" أو من"عجل الجاموس"! إذن.. تغيرت الدنيا، وتبدل الحال. ونحن الآن أمام دار يعرفها أهل القرية بِاسم دار محمد أبو إبراهيم عمر. لقد نجحت الأسرة بعد طول معاناة في أن تجد مكانًا، تفرح فيه إذا ما جاء الفرح.. وهو دائمًا لا يأتي. وتبكى فيه إذا ما جاء الحزن.. وهو دائمًا يأتي!

هذه الدار.. كانت تتكون من دهليز متعرج، طويل، وضيق إلى حد ما. على اليمين غرفة كبيرة، ملحق بها ثلاث غرف أخرى، ما بين متوسطة وصغيرة، بإجمالي مساحة لا تزيد على 150 مترًا. السقف من عروق النخيل التي نخرها السوس حتى أضعفها. والجدران مدهونة بطين الأرض، وعرق الظهيرة.

الحجرة الرئيسية، بها شباك على الشارع الكبير، بضلفتي خشب بالطول، خلف أسياخ حديدية صدئة، عفا عليها الزمن. داخل الحجرة سرير له عمدان نحاسية، و"صحارة" من خشب قديم، وناموسية متوسطة الطول. في الغرفة المجاورة "مشنة"عيش بلدي، بها بعض الأرغفة المعجونة بمهارة، والمصنوعة في فرن البيت بخبرة وإتقان. في منتصف الدهليز يقبع "زير" للشرب من الفخار،على رأسه "كوز" قديم، تركت الأصابع عليه علامات سوداء واضحة. خلف الباب الرئيسي مصطبة طينية كبيرة، عليها حصيرة متهالكة من البردي، ومسند للظهر، معبأ بقطن متوسط طويل التيلة!..هذا البيت البسيط، المتواضع، الذي يشبه بيوت الفلاحين في الدلتا والصعيد، يتذكره محمد الشقيق الأصغر لزكي عمر(عمره الآن 79 سنة) قائلًا:"كان بيتنا في هذا الوقت يختلف كثيرًا عن البيوت الأولى التي كنا نتنقل فيها من مكان إلى مكان، بسبب ضيق ذات اليد، والحرمان، وقسوة الأغنياء وغدر الزمان!

***

" يابا

فاكر أنا طلعتك ـ يابا ـ من النجمة

فاكر كلامك لنا لأخواتي بالكلمة

فاكر دعا ولدتي بالستر كل صلاة

فاكر أنا رجعتك متلفح الضلمة.

(البيت ـ ذات يوم عادي جدًا)

في هذه البيت المتواضع، عاشت الأسرة تلتحف بالستر الجميل، والصحة، والسيرة الطيبة، والضحكة (الحلوة) وليل الشتاء الطويل، وصوت

الأذان، وصلاة الجمعة، وصوم شهر رمضان، ودنيا الله الواسعة، والشوارع، والحواري، والغيطان. كان هذا البيت الريفي، هو كل ما تمتلكه الأسرة الصغيرة. وكانت تحمد المولى، العلي، القدير، الرزاق، عليه دبر كل صلاة، خاصة صلاة الفجر، تلك الصلاة التي كانت تحرص عليها الأسرة جميعًا ولا سيما الأب، الذي ما إن كاد يفرغُ منها، ويختمها بالحمد، والشكر، والتسبيح، وقراءة آية الكرسي؛ حتى ويجد زوجته قد فرغت من إعداد إفطاره، الذى لم يكن يزيد عن وجبة بسيطة، معها كوب شاي ساخن(تقيل) سكر وشاي!

*****

(البيت ـ الساعة الخامسة صباحًا)

بعدما ينتهي الأب من إفطاره، ويمد يده لزوجته بكوب الشاي الفارغ، يحمل ثوبه على جسده، وفأسه على كتفه، وهمه في قلبه، ويخرج مسرعًا بكل قوة، وهمةُ، ونشاط، للعمل مع زملائه الفلاحين الأُجراء في أرض(زمام العمدة) أو(وسية البيه) أو(أبعدية الباشا). وبالطبع لم يكن هذا الأب حالة فريدة، واستثنائية، في قريته، أو القرى المجاورة لها، بل كان فلاحًا من بين نصف مليون فلاح في عموم القطر المصري كله ينهضون، ويُسرعون كل صباح.. "يُفلحون الأرض بفئوسهم، ويحفرون الترع، ويطهرون المصارف. وقد انغرزوا إلى وسطهم في الطين، يجمعون الروث، ويحلبون البهائم، ويعودون إلى كهوفهم آخر النهار"!

"كفر الأعجر، قرية

زيها زي بقيت قرى مصر...الباقية

والقرية مكان،

وبيوت، وحواري، وطين، وحوان

وسواقي، وترعة، وليل، وناموس، وغيطان

لكن الأغرب في الموضوع..

أحيانًا.. ننسى ما في القرية من إنسان"

ومرت الأيام، بكل أحزانها، وآلامها، وفقرها حتى كبر زكي وصار عمره فوق عشر سنوات. وبدأ يلعب في شوارع القرية تحت ليلها المعتم الحزين. ويسمع أحاديث الفلاحين عن القتلة المجرمين الذين يذبحون الأهالى في فلسطين، ويدمرون منازلهم، ويحرقون زيتونهم، ويقتلون أطفالهم. ومن هنا.. من دروب القرية البائسة، بدأ يُولد بداخله شاعر، يفيض بالقلق، ويرفض الظلم، ويحب الخير، والعدل، والحرية. ومرت السنوات وهو ينمو ويلهو مع الأطفال في الشوارع والحوارى. ويسهر الليالى، يرسم تحت ضوء القمر، وردة، ونخلة، وشجرة، وزهرة ياسمين. ويسمع الحواديت والحكايات (والتعلب لما فات).. والناس بجواره تواصل أحاديثها، وتلضم الحكاية وراء الحكاية، لتظل حكاية الحكاية، وأصل كل حكاية في الوطن العربي الكبير في ذلك العام ـ وكل عام ـ منذ عام 1948 ـ هي حكاية فلسطين، وما يحكيه الناس عن مأساة دير ياسين. وغيرها من المذابح والمجازر والمآسي والمحن. وعندما يعود زكي للبيت في ظلام الليل الثقيل، الكئيب، الحزين؛ يقرأ سور الفاتحة، والكافرون، والبلد، والعصر، والنصر. ويفرح عندما تفرح أمه بذلك. وهي تقول: آمين.. يا ولدي.. آمين.

ووسط هذا الهم وهذا الغم، بدأ المرض يتسرب إلى جسد أبيه الصلب، الشديد، القوي، العفي، ليجعله غير قادر على حمل جسده لا بالليل ولا

بالنهار. وكلما زاره النهار وجده جالسًا خلف باب البيت على مصطبة الدار في انتظار عتمة الليل. وكلما جاء الليل وجده يتوجع من شدة المرض، وزاد فوق ذلك الوجع، تتابع القئ والإسهال بصورة مستمرة مع انهيار تام للجسد العفي، القوي، الذي كان يزلزل الأرض حين يمشى. إنها مؤشرات (الكوليرا)، ذلك الوباء الذي جاء إلى مصر قادمًا من الهند عن طريق جنود الاحتلال الإنجليزي العائدين من هناك. حدث هذا في شهر سبتمبر من ذلك العام، حيث أصيب به ما يقرب من مائتي ألف مواطن تقريبًا. ومات بسببه حسب بعض التقديرات 20 ألفاً غالبيتهم من فلاحي قرى الدلتا.

(2)

"يا صبر، يا صبير، يا شجر السنط، يا صحبه
كم.. قالها أبويا مع الترحيلة في الغربة
كم.. قالها أبويا ـ وأنا ـ كم.. قلتها وياه
م الفجر.. للضهر.. للمغرب.. بلا شرب".
(القاهرة ـ الحرافيش ـ 1977)

هذا الوباء يُعد حلقة من حلقات الأوبئة المستمرة التي أصابت أهل المحروسة منذ عصور سالفة. يذكر لنا التاريخ أنه في العصر المملوكي، على سبيل المثال، حل بمصر 17 وباءً ومجاعةً في الفترة من عام 1225 إلى 1380م، حيث راح ضحيته آلاف من الفقراء والمساكين في الريف والمدن. وهذا ما صوره لنا ونقله نجيب محفوظ في ملحمته الشهيرة "الحرافيش"على لسان شيخ الحارة (عم حميدو) عندما وقف أمام دكانه، وضرب الطبلة براحته، فهرع الناس إليه من البيوت والحوانيت، وبوجه مكفهر. قال: إنها الشوطة، تجئ لا يدري أحد من أين؟ تحصد الأرواح إلا من كتب الله له السلامة.. وسيطر الصمتُ والخوف فتريث قليلاً. ثم مضى يقول:

اسمعوا كلمة الحكومة.. أنصت الجميع باهتمام، ترى أفي وسع الحكومة دفع البلاء؟! تجنبوا الزحام فترمقوا في ذهول. حياتهم تجري في الحارة. والحرافيش يتلاصقون بالليل تحت القبو وفى الخرابات، فكيف يتجنبون الزحام؟ ولكنه قال موضحًا: تجنبوا القهوة، والبوظة، والغرز! الفرار من

الموت إلى الموت! لشد ما تتجهمنا الحياة! النظافة..النظافة تطلعت إليه في سخرية أعين الحرافيش من وجوه متوارية وراء أقنعة من الأتربة المتلبدة، اغلُوا مياه الأبار .. والقِرب قبل استعمالها .. اشربوا عصير الليمون والبصل. ساد الصمت، وظَل ظِل الموت ممتدًا فوق الرؤوس حتى تساءل صوت: أهذا كل شيء؟ فقال حميدو بنبرة الختام: أذكروا ربكم وارضوا بقضائه"

*****

كفر الأعجر، قرية

والقرية في عرف كتير م الناس

قطن، وقمح، وبامية، وقرع، وعدس، ورز، و..

قشطة، وزبدة، وسمن، وجبنه، وبط، ووز، و

و.. فراخ

ومشلتت ياما كتير

وبلدنا بكل صراحة، فيها الخير قناطير

لكن الأغرب في الموضوع

أحيانًا.. ننسى ما في القرية من إنسان"

في القرية.. لم ينس أهلها، أسرة محمد أبو إبراهيم عمر، الذي أصابه البلاء، وطال جسده المرض ونُقل للعلاج، والحجز، والعزل، مثلما عُزلت مصر كلها في هذا العام عن العالم عزلاً تامًا، رغم محاولات حكومة محمود فهمي باشا النقراشي، ومعه وزير الصحة الدكتور نجيب إسكندر، فى السيطرة على الوباء بالنظافة، والتباعد الاجتماعي.

لكن للأسف فشلت تلك المحاولات، وانتشر الوباء في بعض أحياء القاهرة، وغالبية قرى محافظات الدلتا. وكان من بينها قرى مديرية الدقهلية. ومن سوء حظ الطفل زكي أن أصيب أبوه بالوباء، حسبما أكد ذلك شقيقه محمد، وتم احتجازه مثل كل المرضى في مستشفى للعزل بمدينة المنصورة. في فترة العزل حاول الأب قدر استطاعته أن يقاوم المرض، ويتمسك بالنجاة. حاول الرجل قدر ما يستطيع؛ إلا أن هذه المحاولات لم تنجح في أن تمنع، الوعد والمكتوب.. وفي النهاية.. مات!

"يابا

يا ما شربت العرق ـ يابا ـ بلون الحبر

واللقمة ساعة الغدا غمستها بالصبر

والهدمة لم طلتها إلا بقولة.. آه

والجاه.. ما هو بيدنا..

سبحانه صاحب الأمر"

*****

(البيت ـ بعد نبأ الوفاة)

في ذلك اليوم الحزين، بكي الأولاد رحيل أبيهم، وبكت الزوجة رحيل زوجها، وسندها، وعشرة عمرها، بعدما تركها حزينة، ووحيدة، وفقيرة، تواجه الأيام بمفردها. ومرت ليالي الحزن وأيام الغضب بطيئة، وجاءت ليالى الكرب وأيام (الشقا) سريعة، الأمر الذي فرض عليها لملمة أحزانها، ومعالجة جراحها من أجل تربية أطفالها. وذات يوم وهي تفكر فيما هو قادم من حزن الأيام، وجدت نفسها تبكي حتى ابتلت المصطبة التي تجلس عليها. وكان

بجوارها زكي يشاركها البكاء حتى أحمرت عيناه. ثم فجأة توقفت، بعدما وجدته يقول بعزم وتصميم:" لا تحزني يا أمي.. أنا راجل من صلب راجل، وسوف أذهب للعمل مكان أبي". أتذهب للعمل في الحقول يا زكي؟ في هذا العمر الصغير!" نعم .. وأذهب إلى آخر الدنيا من أجلك وأجل أخواتى"! ضمته الأم إلى حضنها بحب، وحنان، ورفق، ولين، ودموعها تتساقط. وتقول:" لا يا زكي.. أنت وإخواتك (لازم تتعلموا)"! ثم وقفت في وسط الدار، تحت شعاع شمس ظهيرة ذلك النهار، وقالت بتصميم:"سأخرج أنا للعمل من أجلكم. قالت ذلك وهي تمسح بظهر يدها دموعها المنهمرة، بحسرة وانكسار.

*****

(القاهرة ـ 1948)

"في يوم 15 مايو من ذلك العام الحزين، وعند منتصف الليل، أعلنت الحكومة المصرية أن الجيش سيدخل فلسطين لتأديب عصابات اليهود، وحفظ عروبة القطر الشقيق" وبالفعل دخل الجيش المصري مع الجيوش العربية التي اشتبكت فعلاً في الحرب على إثر إعلان إسرائيل استقلالها، وقامت الولايات المتحدة بسرعة، وبصورة مدهشة، معلنة الاعتراف بها في ظرف تاريخي، عالمي، دقيق. وأعقبها في ذلك روسيا، ثم أعقبتهما دول أخرى. ومن تحت حطام النكبة انشغلت مصر بما عرف وقتها بقضية (الأسلحة الفاسدة) التي فجرتها مجلة روزاليوسف بقلم إحسان عبد القدوس. ونشرت المجلة وقتها حلقات مثيرة، احتوت على معلومات خطيرة، تدين الملك فاروق وحاشيته ومعظم رجال القصر، فى هذه القضية الشهيرة التي تم التحقيق فيها قبل ـ وبعد ـ 23

يوليو. وانتهى التحقيق إلى لا شيء! حسبما جاء فى منطوق الحكم الذي صدر في 10 يونيو 1953 وقضى ببراءة جميع المتهمين. ولقد أدلى المستشار كمال أحمد ثابت ـ الذي أصدر هذا الحكم ـ لصحيفة الجمهورية في 3 يونيو 1976 بحديث كان عنوانه:" لم يثبت للمحكمة مصرع جندي واحد من أسلحة فاسدة".!.. والحكم عنوان الحقيقة!!

*****

(القرية ـ بعد رحيل الأب)

أخبار النكبة كانت تصل بصعوبة شديدة إلى القرية، ناهيك عن متابعة قضية الأسلحة الفاسدة، وكان الأهالي في حزن مُقيم مما يسمعونه عن همجية ووحشية عصابات اليهود وجرائمهم. على الناحية الأخرى من الحزن العام، كان هناك حزن يخص أسرة زكي عمر بعد رحيل الأب ظهر واضحًا وبقوة على الأطفال، وعلى الأم التي قررت خلع ثوب الحداد وارتداء ثوب التحدي، وخرجت للعمل في المزارع، والحقول؛ لتسجل بهذا التحدي، الصعب، العنيف، المرير نموذجًا مُشرفًا من نماذج المرأة المصرية، القوية، العفية، والذي يمتد عبر التاريخ من ماضيه إلى حاضره. لقد رسم لنا زكي عمر صورة شعرية، إنسانية، عبقرية، لتلك الأم التي تُشبه مصر فى قصيدته الشهيرة التي نشرها في ديوانه الثاني (الحلم في عز الضهر) وكان عنوانها (وقفة قصيرة أمام قبر أمي) قال فيها:

(الفاتحة)

ما كانتش تحب اللون الباهت

ما كنتش تحب الميه الفاترة

وكانت

لما بتكره.. تكره موت

وأما تحب.. تحب صبابا

وأما بتحزن تبقي ربابة

وأما بتفرح يبقى الفرح على البوابة

كانت زي الشمس.. وكانت

لما بتغضب.. تبقي مهابة"

لقد عاشت هذه المرأة عمرها كله في دأب، وعمل، واجتهاد.. تواصل الليل بالنهار، والفرح بالحزن، والضحك بالبكاء في معركتها مع المحن التي طرقت بابها، وخطفت زوجها من بين الأحضان ومن بين الجدران. هذه المحنة تركت وراءها زكي ومحمد وأختهما الرضيعة، التي لم يمهل الموت أباها، ليري ابنته"أم محمد" وهي تمشط شعرها وتضحك ضحكتها الطفولية البريئة.. فيا يا أيها الموت، العظيم، المقيم! كم أنت قاس.. وبلا قلب!

(نقطة.. ومن أول السطر)

ما كانتش بتكره قد الموت

مع أن الموت شايلاه جواها بعمر سنينها توائم

وياها فين ما تحب تروح

وياها قبل.. وبعد.. طلوع الروح

لفت به أراضي الناس شغالة

لفت به بيوت الناس غسالة

طلعت به على السقالة

نزلت ياما سلالم
لفت به.. ولفت بيا .. وبيها العالم
لفينا الجيرة.. وجيرة الجيرة مع.. الترحيلة
ترحيلة .. مشينا بلاد الناس.. رحالة
نحلب من بز الأجرة غموس الليلة
ونعيش اليوم .. بالتيلة!

(3)

"يابا
يابا بدون فخر، ما عادش
هنا سخرة
ما عاد وسية، ولا خولى..
هنا ثورة
والثورة يعني ابتسامة ف كل بيت مليانه
والبسمة ما تنطفي، طول ما القلوب خضرة.

(القاهرة ـ 1952)

"اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة، والفساد، وعدم استقرار الحكم. وكان لكل هذه العوامل تأثير كبيرعلى الجيش. وتسبب المرتشون، والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين". انطلقت هذه الكلمات من الإذاعة المصرية في تمام الساعة السابعة والنصف من صباح يوم 23 يوليو من ذلك العام، والتى أُعلن فيها عن تحرك عسكري قاده ضباط الجيش ضد الحكم الملكي، بعدما استطاع جمال عبد الناصر تشكيل وتكوين هذا التنظيم الجديد."وأن يحافظ على وحدته ويضم كل القوى والاتجاهات الوطنية.. من اليمين والوسط واليسار". وبذلك انطلقت شرارة الثورة لتحدد الأهداف

المباشرة، وكانت ستة أهداف: يأتي في مقدمتها القضاء على الإقطاع، والاستعمار، وسيطرة رأس المال، وإقامة جيش وطني قوي، وعدالة اجتماعية، وحياة ديمقراطية سليمة. ولقد عُرف هذا التحرك وقتها باسم (الحركة المباركة) ."وإذا كان المثقف الليبرالي طه حسين هو أول من أطلق صفة الثورة على حركة 23 يوليو عقب حل الأحزاب، وإسقاط دستور 1923 في يناير 1953؛ فإن المثقف اليساري (صاحب التاريخ اليساري المبكر في السياسة والأدب) عبد الرحمن الشرقاوي هو أول من أطلق على انقلاب مايو 1971 صفة الثورة"!

*****

(كفر الأعجر ـ 1952)

فى القرية.. التف الناس حول بيت من بيوت الأغنياء، ليستمعوا إلى صوت الراديو القادم من خلف الأسوار العالية، وهو يحمل إليهم هذا البيان الهام الذي سيغير حياتهم، وحياة أولادهم وينقلهم من خانة الأُجراء إلى خانة الشركاء. هذا الإعلان عن الثورة، أسعد وأبهج الناس في الشوارع والحواري والبنادر، والحقول، وفرحت به الطبقات الفقيرة، والمعدمة، التي عاشت سنين عمرها كله تحت ذل الاستعباد وقسوة الاستعمار. ووسط هؤلاء عاش الصبي زكي ـ الذي وصل عمره إلى 14 سنة ـ تلك الفرحة مع الأهل والأحبة والجيران. واستطاعت الأم بوعيها الفطري، وقوتها الصلبة، وضميرها الحي، أن تواجه العواصف، والمهالك، وتواصل العمل بجد ونشاط في الصباح والمساء، راضية بالمقسوم، وبالمكاسب البسيطة التي تحققت في بداية الثورة، واستفادت منها مثل غيرها. وظلت عن قناعة ويقين واثقة بأن الحزن لا يدوم،

والفرح له يوم! والظلم لا يدوم، والعدل له يوم! لذلك كانت تفرح بالعمل. وتفرح أكثر كلما مر الأمل كل مساء من أمام بيتها، ورأها تُطعم أطفالها ـ قبل النوم ـ وجبة العشاء.

(فاصلة)

كانت تفرح.. فرح عيال العيد
كانت تفرح خالص .. خالص .. خالص
لما الفرخة تبيض
وأما الترعة تزيد.. وتفيض
كانت تفرح
فرحة الأعمى إن فتح
لما الشجرة العاقر.. تطرح
وأما البنت تحيض.
(القاهرة ـ 1956)

وصل جمال عبد الناصر إلى الحكم في 24 يونيه 1956 رئيسًا للجمهورية، بالاستفتاء الشعبي وفقًا لدستور 16 يناير 1956، وهو أول دستور للثورة. ولقد استقر له الأمر، بعد انتهاء أزمة مارس التي دار الصراع فيها ما بين ضرورة عودة الحياة السياسية لِما كانت عليه قبل ليلة 23 يوليو، وبين استمرار قيادة الضباط الأحرار ـ وليس كل الضباط ـ في الحكم. واشتد الصراع واحتد بين كل الجبهات حتى انتهت الأزمة إلى ما انتهت إليه في ذلك الحين.

يابا

نزلت ـ يا بابا ـ رميت ع الصحبة ألف سؤال

ردت عليا السنابل بالجواب في الحال

حتى وابور الطحين كبر وقال: الله

ساعتها ـ يابا ـ هتفت:

تعيش لنا يا جمال

في نهاية الصراع استطاع جمال عبد الناصر التخلص من اللواء محمد نجيب ونفيه واحتجازه 18 سنة في قرية المرج (مدينة الآن ـ شرق القاهرة) في منزل السيدة زينب الوكيل زوجة مصطفى باشا النحاس.

هذا الاعتقال الذي قال عنه محمد نجيب:"..وتقبلتُ ما حدث لي في صمت وهدوء، ورفضتُ أن أشكو من المنزل المهجور.. والحياة اليومية الصعبة، والحصار الإنساني الذي وجدت نفسي فيه"! ونجح جمال عبد الناصر كذلك في إقرار وتنفيذ قانون الإصلاح الزراعي والتخلص من القوى السياسية من العهد البائد، ومواجهة القوى الرجعية، كما كان يُطلق عليها في ذلك الوقت، وتأميم قناة السويس، وتمويل مشروع السد العالي، والتصدي للعدوان الثلاثي، والانضمام إلى كتلة عدم الانحياز، وإعلان الوحدة مع سوريا عام 1958 ومساعدة حركات التحرر الوطني في القارة الإفريقية، وتجفيف منابع الحركات السياسية من رجال حزب الوفد وجماعة الإخوان المسلمين ومصر الفتاة والشيوعيين وجميع التيارات السياسية الأخرى.

*****

سواح أنا بالأمل
نواح أنا والربابة
يا طول ليالي السفر
يا طول ليالي الغلابة
يا ليل يا عين يا بلد
عاشق ومغرم صبابا
(كفر الأعجر ـ 1956)

فى القرية، بدأ زكي مشواره مع الإبداع، وكتابة الشعر. وكانت بدايته الحقيقية مع حرب السويس 1956 التي فجرت بداخله موهبته كشاعر يغني للأرض، والفلاح، والغربة، والسفر والشمس، والقمر. عن هذه الفترة كتب بخط يده ما نستطيع أن نسميها(مذكراته ـ القصيرة) قائلاً:"بدأت الكتابة من الغيط (الحقل) حيث أغنيات العمل، ومواويل البسطاء والفقراء..وعلى المصطبة كل مساءً، كنت أسمع حواديت أمنا الغولة، والشاطر حسن، وأبو رجل مسلوخة، وحكايات أمي قبل النوم و(كان يا ما كان)! كان فيه جدع فلاح اسمه زكي، عنده جلابية زرقاء، يقلبها ويُديرها.. ويجيبها من أولها. وهكذا حتى ينام. والمقصود هنا أن ذلك الجدع الفلاح الذي كانت أمه مُصرة وفي كل ليلة على تسميته بـ"زكي" لا يملك من الدنيا إلا جلبابًا أزرق اللون يُحيره. يقلبه إذا أكلت الشمس لونه، بسبب عمله طول النهار، ويُديره، ليجعل ظاهره باطنه، حتى يصبح الجلباب له لون واحد، هو اللون الباهت؛ لذلك.. كان لابد أن يصرخ هذا الجدع الفلاح ذات صباح أو ذات مساء، ليقول: آه. وأظن إنه لن يكن غريبًا أو مستغربًا أن تخرج تلك الـ "آه" شعرًا، أو شيئًا

يسمونه الشعر". أما الأم فقد عاشت تكافح وتواصل مد حبال الصبر بداخلها؛ لتتحمل بقايا الجوع، والقهر. وتنقلت الحياة بها نحو الأفضل، وبأسرتها الصغيرة كذلك؛ لتستكمل السيرة والمسيرة، بعدما تركت وراء ظهرها الذكريات المؤلمة الحزينة، والليالى المعتمة الطويلة، التي جلست فيها على مصطبة دارها، تحكي لأولادها حكايات أمنا الغولة، وأبو زيد الهلالي، والشاطر حسن. ثم تنام في هدوء، وسكون، وأمان، بلا شكوي أو مظلمة، أو صرخة أو محزنة بعدما أدركت أن الحياة تسير إلى مقاديرها. وبدأ الفلاح في كفر الأعجر والقرى المصرية، يشعر بنتائج الثورة تنعكس عليه بصورة إيجابية من الناحية الاجتماعية (دعك من الديمقراطية ـ الآن ـ وبعد الآن ـ وكل آن) على الأقل بدأت بالفعل تتحسن أحوال الفقراء الحياتية، والمعيشية اليومية، بصورة كبيرة وملحوظة. وحافظت الطبقة الوسطى على تماسكها، وتوازنها، ولا ينكر ذلك إلا كاره، أو حاقد، أو صاحب مصلحة، أو توجه سياسي غير منصف للوقائع، والحقائق، والتاريخ!

(قوس صغير)

ما كانتش تحب تفاصل في الأشياء

كان مُر المُر وداء الداء

إنك ما تاخدش كلامها مُسلم بيه

(الواحد بس ح يكدب ليه؟)

كات تلعن أم الكلمة اللي بوشين

(إزاي ح يكون لك لون)

لو إنك عشت ـ يا ولدي ـ بدون أعداء؟

*****

(القاهرة ـ 1966)

في أواخر هذا العام بدأت إسرائيل التصعيد التدريجي نحو خطتها؛ لتوجيه ضربة ساحقة عنيفة ضد الجيش المصري، حسبما يقول محمود عوض في كتابة "اليوم السابع" وأن الخطة التفصيلية لحرب 1967 تم وضعها قبل هذا التاريخ بأعوام. ويُسجل المؤلف الصهيوني"وولتر لاكير" صراحة: "إن حرب 67 جرى خوضها طبقًا لخطة تمت الموافقة عليها عام 1964". ثم تتابعت الأحداث، وبدأت الأزمة حينما وجهت إسرائيل تهديدات علنية ورسمية صريحة في شهر مايو 1967 بغزو دمشق؛ ليمثل ذلك قمة الاستفزاز ضد سوريا، والذى استمر لمدة 6 شهور متواصلة؛ استعدادًا لتنفيذ المخطط، وقتل ما سُمى وقتها بـ"الديك الرومي". على الجانب الآخر كان الرئيس جمال عبد الناصر ـ كما يقول صلاح نصر في (مذكراته .. العام الحزين) ـ يستبعد فكرة الحرب من تقديره حتى بعد إصداره قرارًا بإغلاق خليج العقبة.. وبالرغم من تحذيره، أصدر عبدالناصر القرار، وتطورت الأحداث حتى وقع الديك الرومي (جمال عبد الناصر) في"الفخ"!

*****

(كفر الأعجر ـ 1966)

من داخل بيتها.. مازالت الأم تواصل مشوارها الطويل الصعب، الذي استطاعت فيه أن تحقق حلمها بأن تُدخل زكي المدرسة، وتعلمه؛ وإن كانت الظروف القاسية جعلتها تفشل في تحقيق ذلك مع ابنها الأصغر محمد ومع ابنتها الصغري(أم محمد). هذه الأيام يذكرها جيدًا شقيقه قائلاً:"جلست أمي

في حيرة من أمرها ذات صباح، وكانت تسأل نفسها بصوت نسمعه ونحن نلهو بجوارها. تقول:" من أين لي بتعليمهم جميعًا.. أنت عالم بالحال يارب". بعد دقائق وقفت مكانها ـ ربما لتُرضي ضميرها ـ وأخذتني أنا وزكي وذهبت إلى بيت سالم أفندي ناظر مدرسة قريتنا الابتدائية. قالت له:"قولي يا سي سالم أفندي.. من منهما يصلح ويستطيع مواصلة التعليم.. فليس عندي ما يعينني على تعليمهما معًا. سكت الرجل قليلاً. ثم قال:

"دعيني أجري لهما اختبارًا سريعًا في اللغة العربية". وبعدما انتهى الامتحان الذي تفوقت أنا فيه على زكي. نظر لها وقال:"علمى محمد. أما زكي فليعمل في الغيط". هزت أمي رأسها وشكرته ثم عادت بنا إلى البيت. في الطريق كانت شاردة، وسارحة، تفكر في القرار الذي أرشدها إليه حضرة الناظر. وصلنا إلى شارعنا ثم لمدخل بيتنا وهي تنظر لي وتنظر لزكي بدهشة واستغراب. دخلنا معها إلى دهليز البيت. اتجهت إلى"الزير" لتشرب منه جرعة ماء. وقبل أن تجلس قالت:"سامحنى يا محمد..الذي يصلح ويستطيع التعليم هو أخوك زكي (أنت كويس برضه يا محمد) لكن زكي ولد نبيه، وشاطر، وزكي فعلاً..(ده ابنى وأنا عارفاه)! أما سالم أفندي مع احترامي الشديد له فلا يعرف أحسن منى من منكما يستحق التعليم! أمى كانت محقة ونظرتها ثاقبة، فيما ذهبت إليه. بالفعل كان زكي هو الذي يستحق التعليم وليس أنا! هو الشاعر وليس أنا. هو(الجدع) ابن البلد وليس أنا. كان زكي عطوفًا، وكريمًا، وأمينًا، وصادقًا. ما في يده ليس له ويسعد عندما يُعطيه لغيره من الناس دون أي مقابل. نعم .. تعلم هو! لكنه اعتبر تعليمه ليس من أجل نفسه فقط، ولكن من أجل إخوته، وأهله، وقريته، حتى أنه كان يقسم معنا اللقمة، والكلمة،

والضحكة، ويرعانا ويقف بجوارنا، ويساندنا، بكل ما يستطيع من جهد ومال ووقت.

كان إنسانًا بكل معانى الكلمة. ذهبتُ له ذات يوم في شقته ومعي فراخ، ووز، وبط بلدي. وكنا في رمضان قبل الأذان عندما كانت زوجته تعد لنا مأدبة الإفطار. نظر من الشرفة، فوجد في العمارة المقابلة عجوزًا يعمل حارسًا على عقار تحت الإنشاء. قبل أن يفطر تركنا وأخذ من أمامنا فرخة كاملة ومعها أطباق السلطة والأرز والماء، ونزل مسرعًا إليه، ليفطر معه! وعندما عاد إلينا.. قال:"كيف نفطر نحن بكل هذا الطعام وهو يفطر بمفرده مع الوحدة وطبق الفول"؟! وبالفعل تعلم زكي، كما أردت الأم، وحصل على الشهادة الإلزامية، ثم الشهادة الإعداية من مدرسة الملك الكامل. ثم المؤهل المتوسط من مدرسة الدقهلية الثانوية الزراعية سنة 1960. وبعد أسابيع من نجاحه عرف ساعي البريد طريق البيت، فجاء بخطاب حكومي يحمل اسم زكي إبراهيم محمد عمر، يعلنه فيه نبأ تعيينه في إدارة تفتيش زراعة مدينة دكرنس. هذا النبأ أسعد الأم سعادة لا توصف..الآن ابنها أفندي (قد الدنيا) ..هذا الابن الذي سعت إلى تعليمه ـ ونجحت فى ذلك ـ بكل ما لديها من صبر، ورغبة، وقوة؛ رغم حظها المعدم من التعليم الذي كان يتيح لها بصعوبة.."فك الخط"!

(نقطتين.. وشرطة)

ما كانتش بتعرف تقرا.. وتكتب
زيها زي بقية أمهات أصحابي
لكنها كانت تعرف تحسب
فدان القمح يجيب كام كيلة حَب

والفرخة تنام كام يوم على بيضها ويفقس
وتحل اللغز اللي ما يتحلش خالص
إزاي الأجرة تزيد في بداية الموسم
وف آخر الشهر بتنقص
(يا عيال الأجرة.. زي"غوازي" السهرة.. بترقص)
ما كانتش بتعرف تقرأ.. وتكتب
لكنها كانت وقت حساب المالك.. لبلب
(جحا أولى يا ولدي بلحم تيرانه)!

(4)

(القاهرة ـ 5 يونيو ـ 1967)

اشتعلت الأجواء السياسية فى العواصم العربية، واشتد الصراع إقليمياً ودولياً بسبب القضايا العربية، بعدما افتعلت إسرائيل أزمات ضد دمشق والأردن. القاهرة فى ذلك الوقت ذات نفوذ وقوة عربية وإقليمية ودولية، وبالتالى ترفض ذلك كله بوصفها الشقيقة الكبري..عن تفاصيل ـ أو بعض تفاصيل ـ تلك الأيام والساعات التى عاشتها القاهرة إلى أن وصلنا للوضع الكارثى بعد ظهر ذلك اليوم الحزين 5 يونيو، يحدثنا الرئيس جمال عبد الناصر من خلال مذكرات الدكتور ثروت عكاشة التى حملت عنوان(مذكراتي في السياسة والثقافة) والتى تحدث من خلالها عبد الناصر قائلاً: "بعدما وصلت إلى مقر القيادة العامة في صباح ذلك اليوم، وجدت أسوأ معاملة من عبد الحكيم عامر وشمس بدران؛ فمنذ وصولي لم أجد من يلقي لي بالاً أو يُعنى بالرد عليّ، فإذا ما تساءلت عن أمر من الأمور، حملق عبد الحكيم مأخوذًا دون إجابة. ومما أثار دهشتي إنى رأيت المشير يتصل تليفونيًا بالعريش يحاول تحريك أحد الألوية. فتساءلت: أين قادة الفرق الخمس؟ أين قائد الجبهة؟ كيف يحرك المشير قوات خاضعة لقيادة الجبهة دون إذنها. وحاولت مناقشته، لكنه كان متوترًا للغاية فلم يرد عليّ، بينما كان شمس بدران واقفًا فاغرًا فاه كالمذهول. لقد كان الشلل الفكري مسيطرًا على جهاز القيادة بأسره. بعد قليل انبرى المشير يقول: لقد أسقطنا للعدو مائة طائرة.

فقلت: غير معقول

قال: الأمريكان يحاربوننا

قلت: غير معقول

قال: لابد أن تعلن عن اشتراك الأمريكان في القتال

قلت: أعطيني دليلاً.

وهنا ثار المشير ثورة عارمة! فتركته وعدت إلى بيتي"!

*****

(القاهرة 8 يونيو 1967)

يكمل عبد الناصر قائلاً:" في مساء ذلك اليوم اتصل بي شمس بدران يبلغني أن الموقف بات يقتضي مجيئي للقيادة. فنهرته. قائلاً: حقًا إنكم زمرة تفتقر إلى الحياء. رد: الظرف عصيب ياريس. ولابد من جمع مجلس الثورة هنا وتقرروا أي شيء. قلت: أنا المسئول عن أخطائكم وليس من الرجولة أن أُحمل أعضاء مجلس الثورة مسئولية قرار لم يشاركوا فيه. هل هذا رأيك أم رأي المشير؟ فقال شمس بدران: إذن فلتجتمع اللجنة التنفيذية العليا. قلت: لا طائل من وراء اجتماعها، وليس أمامى إلا أن أطلب من وزير الخارجية الاتصال بيوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة.. لوقف القتال. قال: الحقيقة أنا أخشى على المشير من الانتحار! قلت: سأكون عندكم بعد خمس دقائق. وعندما وصلت وجدت المشير في حالة ثورة عارمة. فأخذت أطيب خاطره وأخفف عنه لتهدئته وصده عن الانتحار!

*****

(القاهرة 9 يونيو 1967)

"وأقول لكم بصدق وبرغم أية عوامل قد أكون بنيت عليها موقفي في الأزمة، فإنني على استعداد لتحمل المسئولية كلها، ولقد اتخذت قرارًا أريدكم جميعًا أن تساعدوني عليه: لقد قررت أن أتنحى تمامًا ونهائيًا عن أي منصب رسمي، وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير أؤدي واجبي كأي مواطن آخر"..

كانت هذه كلمات الرئيس جمال عبدالناصر للأمة في خطاب تنحيه الشهير الذي رفضه الشعب ـ رفض تنحيه عن السلطة ـ فيما يعني رفضًا شاملاً، لأهداف حرب يونيو من أساسها. ومنذ مساء ذلك اليوم بدأت أقوى عملية تجهيز عسكرية متضمنة إعداداً تدريبياً عالمياً، حديثاً، ومدروساً للقوات المسلحة، لخوض حرب التحرير بعدما مهدت لها حرب الاستنزاف، التى بدأت بعد أسابيع من الهزيمة، ووصفها محمود عوض في كتابه(اليوم السابع) بالحرب المستحيلة.

العيل في الترحيلة

لم يعرف فين القدس ولا.. فين.. فيتنام
لكنه بقلبه الطفل المغرم بالأحلام
بيحس بمعنى كلام
الحرب الجبهة مقاومة سلام
ولأن عينيه بتشوف من تحت لفوق
م الصعب الحلم في صدره ينام.

*****

(كفر الأعجر – 1967)

فى هذه الأيام التفت القرية حول أجهزة الترانزستور التي زاد عددها في البيوت. وارتفعت أصواتها في الشوارع والحواري. الكل في دهشة، وقلق، وتوجس، وحيرة، وهم يسمعون البيانات الأولى لإذاعة صوت العرب التي كانت (أي البيانات) تُعلن عن إسقاطنا العشرات من طائرات العدو، وأن صواريخ القاهر، والظافر، قد أوشكت على تدمير تل أبيب، وإلقائها في مياه البحر! زكي عمر الذي كان عمره قد وصل إلى الثلاثين عامًا وعاش مثل غيره مع الفرحة ساعات. وشعر بالفخر ساعات؛ لكنه بعد ساعات وساعات، شعر بالقهر والخوف والإحباط. وبعد ساعات أخرى أغلق الراديو القديم الذي اشتراه من أول راتب حصل عليه، ودخل إلى حجرة أمه فوجدها تهز رأسها وتقول: "انهزمنا يا زكي"؟! هز رأسه ولم يرد! ومن أين يأتيه الرد؟ وبماذا يرد! وهو الذي عاش سنوات الحلم والأمل. سنوات القوة والنصر. سنوات العزة والكرامة، لكنه فى لمحة عين انكسر الحلم، وتوارى الأمل، وانحسر المد العربي القومي الاشتراكي. وجاء الذل بعد الفخر، وخيم الحزن بعد الفرح. وصمتت صواريخ القاهر والظافر على أبواب القاهرة، فلم تعد تتحرك أو تنطق أو تنطلق! بعد عدة سنوات ذكر الفريق سعد الشاذلي رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق في شهادته (مذكرات حرب أكتوبر- الصادرة 1980 ـ طبعة الجزائر) أنه "كانت هناك عدة صواريخ منها ترقد في المخازن، وكانت عيوبها كثيرة، وفوائدها قليلة، ولكنني قررت أن أستفيد منهما بقدر ما تسمح به خصائصهما فى حرب أكتوبر".. وقد كان !

*****

ونفتح بيبان البيوت، العتيقة

ونفتح.. ننفض تراب الخطيئة

ونفتح.. ونغسل وجهنا البريئة

ونفتح.. ونسرج شموسنا الوضيئة

وأبقى، وتبقى، عيون الحقيقة

وبعدما وقعت الهزيمة.. بدأ زكي يكتب، ويهتف، ويصرخ بكل عزم، وصدق، وإخلاص.. فتحولت كلماته إلى دانات، وهتافاته إلى قنابل، وأشعاره إلى صواريخ، لشحذ الهمم، والدعوة للمقاومة، وطرد الاستسلام من القلوب والعقول، ومواجهة الهزيمة. ومنذ هذه اللحظة، لحظة الانكسار، بدأ يبحث عن ضوء النهار..عن شرارة الانتصار، فانضم على الفور إلى مجموعة اليسار في مدينة المنصورة. هذه المجموعة، الشبابية، الثورية، كانت قد شكلت من بينها فرقة مسرحية من الهواة أواخر سنة 1967. وقامت بجولات مسرحية، وفنية، وميدانية في ريف ومدن محافظة الدقهلية تغني للوطن، وترفع الروح المعنوية للجنود على الجبهة، وتقول للشعب بعد الهزيمة.. هنحارب.. هنحارب!

الفرقة ـ كما يقول عادل عبد الباقي من قادة تلك المجموعة عمره الآن 79عامًا ـ "كانت تتكون من محمد سعيد ومحمد يوسف ومحيي الحنفي وسعد الحنفي وأحمد متولي ومحمود حافظ وزكي عمر بأشعاره وأفكاره وحماسه وكتاباته، التي ألهبت حماس الجماهير في كل مكان ذهبنا إليه! ثم انضم زكي إلى فرقة المنصورة المسرحية التي تكونت من: عبدالرحمن صبح، وكمال البابلي، وأحمد متولي ـ من المجموعة الأولى ـ ومحمود السويسي، ومجدي فكري، وسعد عبد العزيز، وعلى مندور، وفتحي كشك، وسهير مصطفي، وعبدالله عبد

العزيز، ومحمد ناجي، وأحمد عباس، ورضا حامد، ومحمد هيبة". ومن هنا بدأ دوره كشاعر يظهر بقوة، ووضوح، وحضور، ويتحدد موقفه من قضايا وطنه، وإنسانيته، وحياته كلها. وهذا ما صرح به لصحيفة المساء ـ للصحفى محمد عبد الفتاح ـ فى 7 نوفمبر عام 1973 قائلاً: "بعد 67 بدأ دور الشاعر بداخلي يكون مستعدًا للدفاع عن كلمته.. وتلك كانت بداية اختيار الطريق. إني أكتب وألتزم بما أؤمن به ولم يكن أمامي بحكم النشأة والظروف القاسية التي مرت بي؛ إلا أن التزم بتراب الأرض والفلاح. ومن خلال معاناتي ومتابعتي لقضية الحياة في بلادي، وعيتُ إنه ليس يكفي الإنسان في أن يكون شاعرًا مرهف المشاعر فقط. بل إن السلوك الثوري هو الذي يجب أن يحدد هوية الإنسان، فما بالك عندما يكون هذا الإنسان شاعرًا"!.

*****

.. ويمكن، تكون النهاية
ويمكن يادوبك تكون البداية
ويمكن وصلنا، لنص الحكاية
ويمكن، ماليش غير دموع الدواية
لكنى.. باحب السنين ، اللى جايه
(البيت ـ بعد الهزيمة)

في حجرة أمه جلس زكي بجوارها مندهشًا، وحزينًا. بعد دقائق نظرت إليه. قالت:" يا خسارة.. يا خسارة"! ثم اعتدلت في جلستها وهي تقول: "اسمع يا ولدي.. بكرة جاي.. ولقد علمتني الحياة أنه طالما جاء الليل، فمن المؤكد سيأتى بعده النهار". وبنبرة تفاؤل طلبت منه قائلة:" يا زكي أهدم هذا

البيت القديم الذي نعيش فيه، وابدأ في بنائه بطريقة عصرية حديثة، ليكون ثالث منزل في الكفر يُبني بالمسلح. أريد أن أراه قبل الموت مثل منازل أعيان الكفر"! هذا الحلم لكي يتحول إلى حقيقة جعلها تُخرج تحويشة العمر التي جمعتها بالجهد والصبر. وكانت تقدر بـ 570 جنيهًا، لتصبح الفرحة فرحتين: فرحة بناء البيت، وفرحة انتظارها كل يوم بجوار جدرانه، وسط الشارع تستقبل زكي وهو قادم من وظيفته الميري التي يتمرغ فيها بمرتب 10 جنيهات في الشهر. هذه اللحظات كانت تاريخية بالنسبة لها. وقتها شعرت بالرضا ـ رغم كسرة الضهر من الهزيمة ـ وأنها أتمت رسالتها في الحياة.

*****

(القاهرة ـ 1970)

الإذاعة المصرية.. قرآن كريم .. بعد دقائق:

"فقدت الجمهورية المصرية العربية المتحدة، وفقدت الأمة العربية، وفقدت الإنسانية كلها، رجلاً من أغلى الرجال، وأشجع الرجال، وأخلص الرجال، هو الرئيس جمال عبد الناصر الذي جاد بأنفاسه الأخيرة، في الساعة السادسة والربع من مساء اليوم 27 رجب 1390 هـ الموافق 28 سبتمبر 1970 بينما هو واقف في ساحة النضال يكافح من أجل وحدة الأمة العربية"

كان هذا هو صوت النائب محمد أنور السادات الذي خرج للعالم معلنًا نبأ وفاة الرئيس جمال عبد الناصر.

(5)

"الوداع يا جمال

يا حبيب الملايين"

(محافظة بنى سويف ـ 1983)

كثيرًا ما وقعت عيني على هذه الكلمات.. حيث كنت أراها مكتوبة بخط رديء، على حائط مدخل مبنى الجمعية الزراعية، بقريتنا الفقيرة، في شمال صعيد مصر. والتي لم يكن يعرف وقتها، فيما أظن، غالبية أهلها ـ كحال قرية كفر الأعجر والقرى المصرية جميعًا ـ من هذه الكلمات الصادقة، والفارقة، والصادمة، والمرسومة حروفها على مدخل المبنى، سوى أنها كتبت لنعى رجل من أشجع الرجال. رجل من أخلص الرجال ـ كما كتب هيكل فى بيان النعى ـ يومها كنت مازلت طفلاً صغيرًا، عندما لفتت انتباهي أكثر من مرة تلك الكلمات، فوقفت أمامها، معجبًا ـ ربما بحالة السجع التى بها ـ دون أن أفهم معناها، أو لماذا كتبت هنا على هذا الحائط ؟ ومن هو جمال هذا الذي يُوصف بحبيب الملايين؟ وفى صباح يوم خريفي، ذهبت إلى أبي العامل البسيط في الجمعية الزراعية، فوجدته يجلس على مقربة من الحائط، الذي يحمل هذه الكلمات، ويصنع الشاي ويحتسيه مع زملائه العمال والأفندية، إلى أن يبدأ يوم العمل. وقتها سألته: من جمال هذا يا أبي؟ نظر إلى الكلمات خلفه التي تأثرت بعوامل الزمن، وقال بأسى واضح على ملامحه: جمال هذا.. هو الذي جعلنا نستطيع شراء كيلو السكر و(باكو) الشاى الذي أمامنا الآن كما تري ونجلس في هدوء، وأمان نشربه.. وكأننا امتلكنا الأرض ومن عليها. قال هذا ثم

سكت! ثم التفت لي باستغراب عم محسب أبو عبدالعظيم. وقال: جمال هذا.. هو الذى جعلنا نستطيع ارتداء (الجلابية الدمور) التي تستر أجسادنا الآن، دون إهانة أو مهانة من أحد. قال هذا ثم سكت. ثم علق عم معوض أبو مرسي بعدما فرغ مما تبقى في كوباية الشاى التي كانت بين يديه وهو ينظر لي قائلاً: جمال هذا هو الذي جعلنا نمتلك الأرض ممن كانوا يمتلكونها ويمتلكوننا. قال هذا ثم سكت. هذا السكوت وراء السكوت غلف المكان بالصمت. وكأنهم جميعًا يسترجعون معًا يوم رحيل جمال عبد الناصر؛ ذلك اليوم الذي حملوا فيه على أكتافهم نعشًا رمزيًا وساروا به في شوارع ودروب القرية الحزينة وهم يهتفون من قلوب حزينة، وحناجر جريحة، وعيون دامعة، وعقول تائهة (الوداع يا جمال.. يا حبيب الملايين). بعد دقائق غادرت المكان، وعدت إلى البيت، وتركتهم جالسين، مع رائحة الشاى الصعيدى(التقيل) وهي تتصاعد أمامهم، لترسم ذكريات السنين، عن ذلك اليوم الحزين، الذي مات فيه حبيب الملايين... جمال عبد الناصر!

لقد عاشت الجماهير المصرية في القرية قبل المدينة، وفي النجع قبل الحي، وفي قرية كفر أبو شهبة في شمال الصعيد، مثلما في قرية كفر الأعجر بقلب الدلتا، يبكون وينوحون ويهتفون: الوداع يا جمال. كانت الجماهير في ذلك الهتاف صادقة، بعدما عاشوا معه الحلم، والأمل. والقول، والعمل، قبل أن ينتقل من حاكم يعمل عند الشعب إلى حاكم يعمل عنده الشعب. بعدما حولناه بالخطاب السياسي، والنفاق السياسي، والكذب السياسي، والغناء السياسي، والشعر السياسي إلى رسول يحمل البشارة، وإلى نبي يحمل النبوة. ألم يقل فيه نزار قباني:

"قتلناك يا آخر الأنبياء

قتلناك..

ليس جديدًا علينا

اغتيال الصحابة والأولياء"

مع أنه ـ وبنظرة حيادية، ومنطقية، وعقلانية ـ لم يكن نبيًا ولا رسولاً ولم يكن أيضًا عميلاً أو خائنًا أو مجنونًا؛ بل كان فلاحًا مصريًا ارتوى من نهر النيل، واكتسبت بشرته سمارًا من طينه، وصلابة من أرضه. كان عبدالناصر في واقع الأمر، كما وصفه بصدق وموضوعية أحمد فؤاد نجم:

"فاجومي من جنسنا/ ما لوش مرا عابت

فلاح قليل الحيا/ إذا الكلاب سابت

ولا يطاطيش للعدا/ مهما السهام صابت

عمل حاجات كتير معجزة / وحاجات كتير خابت.

نعم.. له من النجاحات والإنجازات ما له، وما أصاب فيه! وله من السلبيات والانكسارات ما له.. وما(خاب) فيه! وفي النهاية مات الرجل.. مات(ناقص عمر)..وإن كان لم تنقصه إنجازات ولم تنقصه انكسارت. كان عبد الناصر كما وصفه توفيق الحكيم فى كتابه عودة الوعى"رجل سلام، لم يفكر قط فى الحرب تفكيراً فعلياً.. إنه رجل عواطف، وانفعال، وخيال.. وكان أقرب إلى طبيعة الكاتب الحالم العاطفى". إذن كان عبد الناصر رجلاً حالماً لوطنه وأمته العربية. ويكفى عبد الناصر دوره العربي الذى أكد عليه الفيلسوف زكي نجيب محمود قائلاً:"يكفى عبد الناصر أنه نبهنى إلى إننى عربي".هذا الدور، وهذا الحلم، تحول إلى كابوس مميت فى يونيو 67 . وهذا ما

أكده نجيب محفوظ قائلاً:" كنت مع عبد الناصر مائة فى المائة، لكن الشئ الناقص كنت حاسس به من الأول (إزاي الراجل ده يحكم بدكتاتورية)؟ لم يكن هناك خلاف بيننا وبينه سوي الدكتاتورية والتعذيب. وغير ذلك نحن معه. الجلاء. الأمية. محاربة الإقطاع. مجانية التعليم. لكن بسبب الدكتاتورية مات عبد الناصر مرتين. مرة فى يونيو ومرة فى سبتمبر". لكن كيف ـ ولماذا ـ حكم عبد الناصر بدكتاتورية؟ هذا السؤال الذى طرحه نجيب محفوظ ، يجيب عنه الكاتب خالد محمد خالد فى مذكراته(قصتي مع الحياة) قائلاً:" لعله أحاط به ما أحاط بأبناء جيله ـ وأنا أحدهم ـ من إعجاب بالدكتاتورية. أيام كنا فى مُبتكر شبابنا.. كان هناك تيار شبه عالمى يقود الشعوب إلى الحُنق على الديمقراطية، بسبب الاستعمار البريطاني والفرنسي والهولندي والبلجيكى وغيره من الدول الديمقراطية التى لم تمنعها مبادئ الديمقراطية عن احتلال البلاد واستغلال العباد" ثم يضيف خالد محمد خالد:"أقول: لعل..بل لابد أن يكون عبد الناصر قد تأثر بما تأثر به جيله.. لا سيما وقد مر فى مسيرته بحزب مصر الفتاة ـ كما صرح هوـ ومصر الفتاة كانت أيامئذ حرباً على الديمقراطية والأحزاب، وبالتالى طليعة جائحة للدكتاتورية الزاحفة، وكان زعيم الحزب المرحوم الأستاذ أحمد حسين أكثر الناس افتتاناً بهتلر وبالنازية"!

الآن مات جمال عبد الناصر..وبعد موته المباغت والمفاجئ لمصر وللأمة العربية أصبح متاحًا لـ حاييم بارليف. رئيس أركان الحرب الإسرائيلي ليقف منتشياً، وسعيدًا، وهو يخاطب طلبة الكلية الحربية الإسرائيلية في نوفمبر 1970 قائلاً:"إنه بموت عبد الناصر أصبح المستقبل مشرقًا أمام إسرائيل"!

*****

(كفر الأعجر ـ 1970)

"... وما تقلقوش
مشورنا لسه ف أوله
ومدام بدأ ... نكمله
... ف اتحملوا"

وبالفعل انتهى المشوار، وسقط الجدار.. وذهب زمن عبد الناصر وجاء زمن السادات، ولكل زمن متغيراته، ورجاله، وأفكاره، وأحلامه؛ لكن تبقى كل الأحلام مؤجلة، لحين محو العار وتحرير الأرض. الأرض التي غنى لها زكي عمر كلماته: "مدد .. شدي حيلك يا بلد.. كل يوم بيموت شهيد لابد غيره يتولد" تلك الأرض نفسها التي كانت تهتز بيوتها، وشوارعها، وناسها، وأشجارها، إذا ما انطلق هذا النداء ـ أو هذا الدعاء ـ أو هذا الرجاء ـ من حنجرته ليردده خلفه الفلاحون والأفندية في القرى والبنادر، وعلى المقاهي والمسارح وفي المنادر. وذات ليلة وهو بجلبابه البلدي يهتف فوق خشبة مسرح قصر ثقافة المنصورة، جاءه شخص، وطلب منه باستعجال أن يترك المسرح ويعود إلى البيت فورًا.

ـ لماذا؟

ـ والدتك تحتاجك الآن.

قفز من فوق خشبة المسرح وعاد مسرعًا إلى البيت. الآن يجلس بجوار أمه بعدما سبقته إليها زوجته (نوال عقل) تلك الفتاة التي أحبها وأحبته مع إنه من عائلة فقيرة وهي من كبرى عائلات القرية، ولكنه الحب الذي جمع بينهما رغم

التفاوت الطبقي والاجتماعي. نظرت إليه أمه نظرة وداع أخيرة؛ فاقترب منها، وحضنها.. حضنته أيضًا. بكى.. فبكت أيضًا. شد يدها.. فشدت يده أيضًا، ثم ابتسمت.. فابتسم.

إنها ابتسامة رضا، ولسان حالها يقول: لقد أكملت رسالتي في الحياة بعدما عشتها بعزة، وكرامة، وأمانة. وقاومت يا ولدي قدر جهدي قسوة الزمن، وحزن السنين. وقبل أن تحين لحظة الرحيل، ودعته بنظرة ووصية في كلمتين . قالت: "إخوتك يا زكي. هز رأسه في صمت. قريتك يا زكي. هز رأسه في صمت. مصر يا زكي. هز رأسه في صمت". ثم قالت: مدد.. مدد. فابتسم كل من كان حولها رغم صعوبة الموقف. بعد دقائق طلبت كوب ماء من "الزير" تروي به جسدها الذي أنهكه الزمن. وما أن فرغت منه حتى أسلمت الروح إلى خالقها؛ ليبكيها زكي وإخوته، وكل أهل القرية بناسها، وأرضها، وشوارعها، وحواريها. ماتت الأم الصبورة، الجسورة، كما قال زكي عمر في الإهداء الذي كتبه لها، في كتابه "طلوع الروح": إلى أمى.. التي ماتت.. ناقصة عمر!

لقد كانت هذه الأم.. تشبه كل أم مصرية، قوية، وصلبة، وعفية، بعدما عاشت عمرها كله رغم الفقر.. ورغم القهر واقفة، وشامخة، وراسخة رسوخ شجر السنط على حواف الترع، من الدلتا إلى الصعيد.

(اقلب الصفحة)

كان الله يرحمها وكانت

كانت.. دايمًا تعشق بكرة

رغم الغلب.. ورغم السخرة

ماتت قابضة لبكرة الأجرة

رغم البكرة..مجاش من البندر

كانت ديمًا صاحية تفكر

هو يا ولدي القطر أتاخر

واللا يا ولدي حاشوه العسكر

جايز.. يمكن.. يمكن جايز

يمكن يجي ف ضم الغلة

جايز جه.. والناس نايمين

يمكن لسه مجاش.. وح ييجي

جايز جاي.. ويا الجايين

كانت شايلة هموم ملايين

كانت الله يرحمها آمين

تمسك ودني.. وترمي القول

أنا مش عايزة أموت.. نوبتين

أنا مش عايزة أموت

(6)

مدد...مدد.. مدد..

شدي حيلك يا بلد

إن كان في أرضك

مات شهيد

فيه ألف غيره بيتولد

(القاهرة ـ 1970)

قبل طلوع الفجر الجديد.. رحل جمال عبد الناصر. رحل وهو يقاوم الهزيمة، بإعادة بناء القوات المسلحة، الفرد والسلاح، وبث العزيمة، والثقة، والأمل في رجال الجيش؛ بالعمل والتعليم، والتأهيل، والتدريب العملي الشاق، والمستمر. حتى أنه وربما للمرة الأولى في تاريخ العسكرية المصرية يخرج قائدها الأعلى مخصصًا قسمًا ملحوظًا من أول خطاب له بعد الهزيمة ـ كان ذلك في 23 يوليو 1967 ـ ليلفت نظر الشعب إلى أن النكت التي يطلقها البعض في حق المؤسستين العسكرية والسياسية بـ" تجرح كرامة .. أناس.. هم أولادنا وأخواتنا" فى الوقت نفسه بدأ عبد الناصر خطوات جادة نحو الديمقراطية والتسليم بضرورة بناء دولة المؤسسات وإن كانت الديمقراطية ـ كمنهج ونظرية سياسيةـ لا تتفق مع ميوله الشخصية وتركيبته الإنسانية كبديل للاستبداد وانفراده بالحكم وما صاحب ذلك من فلسفة الرأى الأوحد، والصوت الأوحد، والصحفي الأوحد في زمن الزعيم الأوحد. كان هذا من

الناحية المعنوية والسياسية. أما من الناحية الاستراتيجية فقد كان مقتنعًا حتى آخر نفس من حياته بالحقيقة التاريخية التي تقول: ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، لكن القدر لم يمهله ليكمل هذا أو ذاك. ولقد تجاوب معه الشعب في ذلك حتى"أنه خلال الفترة من 67 وحتى 1971 لم تحدث أي قلاقل داخلية لها أهمية، خلاف مظاهرات الطلبة التي اندلعت في فبراير 1968 في أعقاب المحاكمات العسكرية والتي كان يقودها عناصر التنظيم الطليعي ومن بينهم عدد من العناصر الماركسية".

مدد .. مدد .. مدد

شدي حيلك يا بلد

قومي انطقي/ سيبك بقى

من النومة جوه الشرنقة

دا النصر محتاج للجَلَد

مدد .. مدد .. مدد

*****

(كفر الأعجر- 1970)

واصل زكي عمر.. مشواره الذي بدأه حسبما جاء في (مذكراته القصيرة) التى قال فيها:"بدأت مشواري فوق المصطبة وحولها، حيث كنا صغارًا نقوم بتشخيص حواديت المساء، وطبعًا كانت صياغتنا للحوارعفوية وتلقائية. وكانت البيوت بأبوابها، وجدرانها، وشبابيكها، وأسطحها هي الديكور. وضوء القمر وظلاله هي الإضاءة المسرحية و(المصطبة) وما حولها من شوارع، وحارات، وأزقة، هي الخشبة من المسرح المفتوح. هل تندهش إذا

قلت لك إن البروفات المسرحية كانت ومازالت تشدني أكثر من العروض!! أنا أحب حد العشق مرحلة الولادة في الأشياء وفي الناس. ما كان يشدني في تلك الفترة المبكرة هو الحوار المسرحي، النص.. وشيئًا فشيئًا أصبح لي وجهة نظر فيما أسمعه وأراه وأقرؤه، وفيما أعيشه.. من حيث الفكرة.. والمعالجة.. والموقف.. والفن.. والمنطق.. والايهام. فى القرية كنا ـ ونحن عيال ـ نكتب نصوصنا المسرحية، ونمثلها ونخرجها بشكل جماعي، أما هنا في القاهرة فالأمر يختلف. ففى البداية أعددت مسرحية لمسرح العرائس اسمها "الفانوس" عن قصة قصيرة لعبد الله الطوخي.. لكنها ضاعت من مكتب المدير الراحل المخرج صلاح السقا، والمشكلة إنى لم احتفظ بنسخة منها، ثم كتبت أغاني وأشعارًا لمسرحية "المشخصاتية" لعبدالله الطوخى، إخراج عبدالرحيم الزرقاني عام 1971".

*****

مدد .. مدد .. مدد

شدي حيلك يا بلد

بكرة الوليد جاي من بعيد

راكب خيول فجره الجديد

يا بلدنا قومي احضنيه

دا معاه بشاير ألف عيد

لكن متى كُتبت هذه الكلمات التي اشتهر بها زكي عمر قبل أن يغنيها الفنان محمد نوح؟ كُتبت بعد الهزيمة...فى منزل زميله الشاعر محمد يوسف، أو ظهرت حروفها الأولى وهو جالس معه! وعن ذلك اليوم يحدثنا الدكتور

مصطفي يوسف، شقيق الشاعر الراحل محمد يوسف قائلاً:"كلمات مدد.. مدد.. صاحبها الحقيقي هو الشاعر زكي عمر، وليس أي شاعر آخر. ولقد كتبها في بيتنا القديم 6 حارة سلطان، من شارع سندوب، مدينة المنصورة. وكان وقتها جالسًا مع أخي الشاعر محمد يوسف. وبيتنا يقع بجوار مولد الشيخ حسانين. يومها تفاءل أبي بهذه الصحبة. وقال ـ بعفوية شديدة ـ (والمولد عمران) مدد يا شيخ حسانين؛ فإلتقطها زكي بحسه الإبداعى، وهتف وهو جالس بيننا" مدد .. مدد". ثم استكمل كتابة الكلمات التى خرجت من هذا المكان في ذلك الزمان لتهتف بها الجماهير. وبعدها انطلقت في أجواء، وهواء، وسماء محافظة الدقهلية وعلى المصاطب وفي المنادر والعزب والكفور والبنادر.. وانضمت بصدقها وثوريتها إلى أشعاره النضالية التي كانت تُغنى على مسرح المنصورة القومي.

*****

(القاهرة ـ 1971)

مدد.. مدد.. مدد

شدي حيلك يا بلد

لو كان ف قلبك شيء قوليه

الحزن هيفيدنا بآيه

يا سكة مفروشة بأمل

وحل الرئيس محمد أنور السادات محل سلفه جمال عبد الناصر وإن كانت نظرياته السياسية قد أختلفت شكلاً ومضمونًا عنه كما يقول الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية الأسبق في كتابه (حرب أكتوبر 1973 ..الصادر عام

1988) حيث "كان يؤمن بأسلوب الحل السلمي وبتطبيق استراتيجية المصالحة مع إسرائيل منفردًا عن طريق الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك مطلبًا إسرائيليًا أمريكيًا في ذلك الوقت ـ وفي كل وقت ـ حتى يومنا هذا؛ لذلك لم تكن لديه الجرأة لاتخاذ قرار الحرب، فور توليه السلطة، وكان متهيبًا الخسائر المتوقعة عنها، إذا إنه قال لي ـ والشهادة مازالت للفريق أول محمد فوزي ـ أنه لا يتحملها مثلما كان يتحملها عبد الناصر. فكرس جهوده منذ البداية على تجنب المعركة، وإذ لم يتمكن من ذلك، فتأجيلها على قدر المستطاع". من هنا وطبقًا لهذه النظرية الساداتية فقد أدلى بخطاب للشعب في ربيع عام 71 أكد فيه أن حرب التحرير في هذا التوقيت غير مناسبة. وقد حدد لها تقريبًا شهر إبريل من نفس العام، ثم جعله في مايو ثم الأسبوع الأول من شهر يونيو ثم تراجع نهائيًا عن إتمام المهمة في هذا العام الذي أطلق عليه عام الحسم.. ومر العام دون (معركة).. ودون (حسم).

مدد.. مدد .. مدد

شدى حيلك يا بلد

مشوارنا حطي العزم فيه

يا بلدنا سيبك من الدموع

قومي أقلعي توب الخضوع

ده النصر محتاج للجَلَد

فى هذا العام (1971) شهدت البلاد اضطرابات ساخنة، وملتهبة، ومتصاعدة خاصة من الطلبة والعمال في جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية، والتى اتسع نطاقها بشكل لم يسبق له مثيل.

وأثناء تلك المظاهرات الحاشدة التي شملت غالبية الجامعات المصرية مطالبة ببدأ المعارك، وبالتزامن مع هذا الحراك الوطنى الذي قاده تيار اليسار- الذى انضم إليه زكي عمر- والتيارات الوطنية الأخري، إنطلقت دعوة بين عدد من الكتاب والصحفيين تطالب بإصدار بيان عُرف وقتها بـ بيان توفيق الحكيم، والذى وقع عليه ما يقرب من مائة صحفي وكاتب. وجاء في البيان فقرة ـ كما يقول أحمد بهاء الدين في كتابه (حواراتي مع السادات) ـ لم ينسها السادات فى حياته أبدًا. جاء فيها:"لقد كثر الكلام عن المعركة دون معركة حتى سارت المعركة مضغة في حلوقنا لا نستطيع أن نبتلعها ولا نستطيع أن نلفظها". هذه الفقرة ظلت مؤلمة للرئيس السادات حتى إنه وصف توفيق الحكيم بعدها بالرجل المُخرف و العجوز! وعاتبه عليها بشدة عندما التقى به في استراحة القناطر الخيرية عام 1973 . يومها قال له:" لقد تألمت لسبب واحد..هو إنكم كتبتم البيان في الوقت الذي كنا فيه نستعد سرًا للمعركة، وأولادي يتدربون على عبور القناة". ثم تساءل السادات:"هل المفروض يا توفيق بيه أن أعلن لكم موعد الحرب"؟! ثم التقى توفيق الحكيم مرة أخرى بالرئيس السادات عام 1976 في استراحة المعمورة بالإسكندرية. وعن هذا اللقاء يقول توفيق الحكيم:"في هذا الاجتماع تحدثنا عن اليسار في مصر، وكان السادات متخوفًا منه. قلت له: لماذا القلق؟ ففي دول أوروبا الغربية أحزاب شيوعية مع أن الرأي العام فيها غير شيوعي.. والمناقشة الديمقراطية ومواجهة الرأي العام هما الحل الأمثل.. يومها استمع لى ولم يعلق"! هذا الخوف من اليسار حينذاك الذى اعترف به السادات إلى توفيق الحكيم هو ما سيُعجل بالأحداث المؤلمة التى طالت زكي عمر ومن سار مساره بعد ذلك!

*****

(مدينة المنصورة ـ 1972)

عاشت مدينة المنصورة وقراها أجواء حرب الاستنزاف منذ انطلاقها بكل عزم، وبطولة، ومقاومة. وكان الأهالي في الشوارع وعلى أسطح البيوت وتحت ظلال الشجر في الحقول، يتابعون معارك الطيران في السماء لحظة بلحظة،لأن قاعدة المنصورة الجوية كانت هدفاً مستمراً لهجمات العدو.. وكانت هذه المتابعة تتم وتُرى بالعين المجردة. ووسط هذه الأجواء تفاعل زكي عمر وبدأ يواصل كتابة أشعاره التي تدعو للمقاومة، والمواجهة، والتصدي، والصمود والكفاح. وتحركت معه فرقة مسرح المنصورة لتشارك في دعم المعركة. هذا التفاعل والتجاوب السريع جعل زكي يسهر الليل في المنصورة تحت أضواء المسرح يقاوم، ويدعو للمقاومة. وبالنهار يعود لقريته وسط الناس، حيث لا ينام؛ إلا بين أحضان بيوتها، ولا يسمع إلا أصوت عصافيرها، ولا يرى إلا مزارعها وفلاحيها. وعن هذه المرحلة قال لصحيفة المساء فى (7 نوفمبر ـ 1973): "أنا زي السمك أموت لو خرجت من كفر الأعجر. لست طبعًا أقصد كفر الأعجر بمكانها الجغرافي، لكن أعني كفر الأعجر بمحيطها الإنساني.. الفلاحين.. والعمال.. وبالتحديد عمال التراحيل.. والذكريات معهم. لقد رفضت كل إغراءات الذهاب والبقاء في القاهرة. لماذا رفضت؟ لأن المدينة ضدي.. وأنا ضد المدينة، فهي في اعتقادي تقتل فى الإنسان إنسانيته"! ومرت الأيام وهو يتحرك في كل قرية ومدينة وشارع وحارة يهتف: مدد.. مدد.. شدي حيلك يا بلد، وتهتف خلفه الجماهير الحاشدة. وبجانب ذلك كان يلبي الدعوات التي توجه له للسفر للقاهرة

خاصة في الجامعة للوقوف بين طلابها ومعه الفنان محمد نوح ـ أحيانًا ـ يهتفان "مدد.. مدد" كما حدث بمدرجات كلية آداب جامعة القاهرة في هذه الفترة الحرجة والملتهبة، والثورية، والتي نشطت فيها الحركة الطلابية بهدف شحن الجماهير، للضغط على القيادة السياسية، من أجل بدء القتال. وبسبب هذا الضغط الجماهيري النخبوي، قررت القيادة السياسية إلقاء القبض على معظم زعماء ذلك الحراك الضاغط بهتافاته، ومؤتمراته، وندواته، وأشعاره. والزج بهم في المعتقلات. وكان من بين هؤلاء زكي عمر الذي أُعتقل في أواخر عام 72 وهو يهتف باسم البلد، والأمل، ومن أجل تحرير الأرض، والوطن.. حيث كان يدرك أن النصر محتاج للجلد.

فى تلك الفترة العصيبة في التاريخ المصري ـ كما يقول أحمد بهاء الدين شعبان من قيادات الحركة الطلابية حينذاك ـ "تحولت الجامعات والمعاهد المصرية، وبالذات جامعات القاهرة وعين شمس والإسكندرية، إلى ساحة مفتوحة للحوار المجتمعي العميق حول الهزيمة في 5 يونيو 1967 وأسبابها، والاحتلال وآليات مجابهته، وإلحاق الهزيمة به. وطرق أبواب الجامعة كل المفكرين الوطنيين، والشعراء والمثقفين البارزين، ومنهم الراحلان: الشاعر أحمد فؤاد نجم، والشيخ إمام عيسى، والثنائي: سمير عبد الباقي، وعدلي فخري، والشعراء الكبار: زين العابدين فؤاد، ومحمد سيف، ونجيب شهاب الدين، وفؤاد قاعود، وزكي عمر، ومحمود الشاذلي، ومحمود الطويل، وغيرهم كثيرون، من الكُتاب والأدباء والمفكرين، الذين تباروا في بث روح الحماسة والمقاومة في النفوس".

(7)

"لمين؟!

"يا ترى لمين المشانق؟

علقوها.. والقيود

يا ترى لمين البنادق

عمروها بالبارود

يا ترى لمين السجون

والعسس.. والمخبرين"

(معتقل القلعة 1973)

هذا الاعتقال الذي لم يكن يتوقعه زكي، أحدث صدمة عنيفة، وهزة نفسية شديدة بداخله. وربما تكون الصدمة قد أفقدته توازنه النفسي بعض الوقت. فالرجل سأل نفسه؟ لماذا يعتقلونني؟ هل أنا قاتل؟ هل أنا سارق؟ هل أنا فاسد؟ أنا لا هذا ولا ذاك..أنا فلاح من طين الأرض، أحببت بلدي وناسها، وفلاحيها، وطين أراضيها.

"أسمع..

أنا، عمري بعمر الشجرة العالية، داهيَه

وبعمر الساقية داهيَه

على قد ما دارت، درت معاها السبعين حول

طلعت بإيدي الزرعة متين محصول

عمرت الأرض البور".

*****

(الزنزانة ـ الليلة الأولى)

جلس زكي مع نفسه يسترجع طفولته وحياته وأحلامه وأمه وزوجته، وبناته، ومسرح أوبرا المنصورة والجماهير الحاشدة التى كانت تهتف خلفه. وظل كذلك حتى نام في زنزانته ليلته الأولى قبل ترحيله إلى سجن القناطر.عن هذه الفترة يقول محمد الهادي من قيادات الصف الثاني بالحركة الطلابية:"سجن القلعة لم يكن سجنًا كباقي السجون، فهو مكان للتعذيب، وانتزاع الاعترافات. ولقد تم ترحيلنا منه على دفعات إلى سجن القناطر. وكان معنا في عربة الترحيلات الشاعر زكي عمر، الذي لم أكن أعرفه حتى تم التسكين في سجن القناطر، الذي قضى فيه معنا 5 شهور قبل الإفراج عنه"!

***

"حبيبتي يا جميلة يا عود السيسبان
الشيلة لو تقيلة نقسمها بالحنان
والحب يبقي بيتنا
والضحكة تبقي غيطنا
والشمس لو فاتتنا
ح نجيبها ع الخصان
ونغني.. أغنيتنا
"المجد.. للإنسان"

(سجن القناطر 1973)

ووسط جو شديدة البرودة، كنا نخرج في الصباح من الزنازين مع شروق الشمس ـ هكذا يكمل الهادي شهادته ـ ونعود للزنزانة بعد الغروب مرة جديدة، وعلى مدار اليوم نظل ما بين تعارف، ونقاشات، وتريض وأحيانًا تجمعنا سماع قصيدة شعر لشاعر من الشعراء معنا في المعتقل. وهنا ولأول مرة تعرفت وتحدثت مع زكي عمر، حيث كان دائمًا صامتًا وقليل الكلام. كنا في المساء ومن خلال الصعود على شباك الزنزانة يأتينا صوت الإذاعة الداخلية وهي تقدم برنامجها اليومي المعتاد، وهوعبارة عن أخبار وأشعار وأغان. ومنها استمعت ولأول مرة إلى قصائده وهو يلقيها بلهجة فلاح مصري أصيل قادم من غيطان الدلتا، وبالطبع كانت الأشعار بالعامية، ومنه سمعت كلمات (مدد .. مدد) التي كنا نرددها ونحن طلبة أثناء مظاهراتنا في جامعة عين شمس. وكان المساجين الجنائيون يطلبون سماع قصائد أحمد فؤاد نجم وزكي عمر خاصة قصيدته الشهيرة عن الأم وأيضًا كلمات أخرى تقول:

حبيبتي يا جميلة يا عود السيسبان

الشيلة لو تقيلة نقسمها بالحلال

وهذه القصيدة لحنها وغناها بعد ذلك الشيخ إمام ..كان زكي يبدو لنا وكأنه يقف على المسرح تحت الأضواء الكاشفة، وهو بالجلباب الفلاحي وقدماه بها آثار طين الأرض، فكان متحفزًا في حواراته مع النخبة التي تعيش وسط أضواء القاهرة، ولا يحب التعامل معهم. وأنت في بداية تعارفك به قد لا تشعر معه بالارتياح والألفة؛ إلا بالتعامل المباشر الشخصي.. هنا تجده ودودًا جدًا، حيث يكشف لك عن مكنون ما بداخله، والذى يشبه شجرة كافورعالية وراسخة تضلل عليك، لكن إن أنت لم تقدره جيدًا ـ وشعر هو بذلك ـ تجده

جافًا كعود الحطب أو شجرة "السنط"! وكان لدي إحساس أنه يريد أن يبقى في قريته، ولا يغادرها مطلقًا؛ لذلك اندهشت عندما علمت أنه سافر هو وأسرته للعمل في اليمن منتصف السبعينيات من القرن الماضي". ويقول المناضل السياسي كمال خليل:"كنا فى يوم 11 فبراير عام 1973 وحوالى الساعة السابعة مساء تم القبض علىَّ مع أحمد شرف الدين أثناء مظاهرة طلابية بميدان الجيزة ضمت مايقرب من 6 آلاف طالب من طلاب جامعة القاهرة..وخرجت من ساحة جامعة القاهرة الساعة 12 ظهراً وظلت بميدان الجيزة. وأمام الشركة الشرقية للدخان تم القبض علينا.. لنذهب إلى مبنى لاظوغلى. فى الصباح تم ترحيلنا للنيابة، وفى المساء تم ترحيلنا لسجن القناطر الخيرية، ودخلنا إلى زنزانة مع ثلاثة طلاب آخرين ..وأبلغنا الزملاء بموقف المظاهرة الطلابية والحركة الطلابية بشكل عام، ليصعد أحد الزملاء على نافذة الزنزانة ويُبلغ الجميع، فهاج السجن وماج وتعالت الهتافات ..كان السجن يضم أكثر من 70 طالباً من جامعات مصر وشعراء ومثقفين ..انتقل السجن من حالة إحباط ويأس إلى فرح وابتهاج. لقد ظن الزملاء أن الحركة ضعفُت بالخارج وأن الموضوع تم فضه. لكن بعد وصولنا للسجن أدركوا أن الحركة مازالت بقوتها وأن هناك مظاهرة ضخمة يُعد لها وستكون يوم 21 فبراير فى يوم الطالب العالمى . فى الصباح صحونا وعند الظهر جاء الزملاء لى بجردل بلاستك وقالوا لى أذهب للحمام وخذ معك الماء الساخن ..اليوم هو يوم (الاستحمام) وفيه نذهب عشرة زملاء وبعدهم عشرة آخرين بالتبادل. أخذت الجردل وذهبت للحمام. فى البداية أنا كنت مُحرجاً من قلع هدومى أمام الزملاء(ازاى هاستحمى بالشكل ده) ظللت لفترة فى حالة تردد، ثم قلت

لنفسى ياحبيبى أنت فى سجن وليس فى عزبة أبوك ..ودخلت وقلعت وأخذت أصب الماء الساخن على جسدي. وكان أجمل يوم فى حياتى. وسر جماله إننى اكتشفت بالصدفة أن الزميل المجاور لى فى الحمام هو شاعر مصر العظيم زكى عمر ودار بيننا أجمل حديث..قال لى :" اسعدتنا يا كمال بهذه الأخبار الجميلة"..واخذت أحكى له عما يحدث فى الخارج وخطة العمل و...و...و...والصابون والماء ينساب فوق جسدي..ثم قلت: أنا لا أعرفك.. من حضرتك؟ قال: أنا زكى عمر شاعر من المنصورة ..وهنا صرخت(وأنا فى الحمام) بعلو صوتى: عندى ديوان لحضرتك أحفظ كل ما فيه من أشعار عظيمة..واخذت اقفز مكانى تحت الماء وأهتف من كل قلبى:"يانهار أبيض انا محبوس مع زكى عمر ..احمدك يارب ..أشكرك ياحكومة"!

.. وأما بعد

آمنت بيك، يا شعب

صليت، وصمت السنين، وحضنت فيك الرب

العدل أنت الغفور، الباقي.. أنت الحب

قادر، رحيم القلب

سامحت ياما.. وياما ـ ولسه ـ بتسامح

لكن حذاري .. حذاري من ولاد الكلب

(القاهرة 1973)

اليوم السبت السادس من أكتوبر، الساعة الثانية والربع بعد الظهر. الإذاعة المصرية. البيان رقم (1) "قام العدو في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر اليوم بمهاجمة قواتنا في منطقتي الزعفرانة والسخنة في خليج السويس".. وتوالت البلاغات حتى وصلنا إلى البلاغ رقم (7) وكان في الساعة السابعة وخمسة وثلاثين دقيقة جاء فيه: "نجحت قواتنا المسلحة في عبور قناة السويس على طول الجبهة، وتم الاستيلاء على معظم الشاطئ الشرقي للقناة، وتواصل قواتنا حاليًا قتالها مع العدو بنجاح"

*****

(كفر الأعجر 1973)

(مدد.. مدد.. شدي حيلك يا بلد) بهذه الكلمات انتفض زكي عمر وهو يجلس في حجرة أمه أمام الراديو الذي كانت دائمًا تضعه بجوار رأسها فوق صحارة خشب، مازالت باقية في مكانها بها ملابسها ومتعلقاتها القديمة. ثم صرخ وهو يطفئ السيجارة التي بين يديه، وانطلق في الشارع يجري فرحًا وسعيدًا يحتضن كل من يصادفه. والأهالي يرددون معه:"مدد.. مدد .. شدي حيلك يا بلد". الآن فقط وبعد الشهور التي عاشها في سجن القناطر، وما تبعها من أسابيع عزلته الاختيارية التي قضاها ما بين شقته المتواضعة في مدينة دكرنس وبين بيت أمه في القرية، يشعر بالفرح بعدما عاش أسابيع حزينًا متألمًا من مرحلة اعتقاله التى مازال يذكرها. وببراءة الفلاح القروي الساذج لا يعرف مبررًا عقليًا ومنطقيًا لها؟ فهو لم يعرف ـ فيما يبدو ـ ما عرفه يوسف إدريس بعد تجربة سجنه التي قال عنها:" كنت وأنا في زنزانتى الانفرادية في

القلعة، أسعد إنسان بهذا السجن، إذ كنت أحس أني بسجني، إنما أدفع ثمن قول رأي في بلد يعاقب بالسجن صاحب الرأي. ومعنى هذا أن وجودي في السجن نتيجة طبيعية تماماً، فالحكومات في العالم الثالث لا تنعم بالنياشين على أصحاب الرأي، خاصة إذا كان رأيًا معارضًا آخر، إنها تعاقبه على رأيه وتضربه، وأحيانًا تقتله". بعد دقائق خرج زكي من بيته فور سماعه نبأ العبورالعظيم الذي كتب من أجله، واعُتقل من أجله.. وظل يمشي حتى وجد نفسه بجوار شجرة كافورعالية بجوار الترعة الكبيرة على حدود القرية من الناحية الشرقية. جلس سعيدًا مسرورًا يقول الشعر لجداول الماء، وشواشي الزرع، وأوراق الشجر حوله. وظل هكذا حتى انتصف الليل، فعاد بنفس السعادة والبهجة والفرحة للبيت ومدد جسده ونام في هدوء. في الصباح ارتدي ملابسه وانطلق إلى شقته حيث قضى فيها نهاره مع أسرته. وفى المساء عاد إلى مسرح أوبرا المنصورة. وبدأ مع زملاء الكفاح الاستعداد للوقوف على خشبته، ليواصلوا مساندة الوطن بالكلمة، والغنوة، واللحن، وبالهتاف للجنود على الجبهة "مدد.. مدد .. شيدي حيلك يا بلد" فتهتف خلفهم الجماهير المحتشدة والمنتشية بالفرحة، والعزة، والنصر بعدما انطلقت شرارة العبور وعبرنا الهزيمة.(كانت وقتها قراءات شعرية على المسرح). وفي أقل من 48 ساعة كان هناك عمل مسرحي من أشعاره حمل اسم "الشرارة" استمرت فرقة المنصورة المسرحية تقدمه ليواصل من خلاله نداءه الشهير "مدد.. مدد.. شدي حيلك يا بلد". وقام بتلحين كلمات مدد..مدد.. (في نسختها الأولى) وقتها ملحن شاب عضو فى الفرقة اسمه أحمد متولي، وكان مدرسًا لمادة الموسيقى، ومن الأسرالتي تم تهجيرها بعد هزيمة 67. عن هذا العرض

(الشرارة) وعن مسرحية (مدد.. شيدي حيلك يا بلد) يتحدث زكي عمر لصحيفة "المساء" مع الصحفى محمد عبد الفتاح في حوار نشر معه بتاريخ 7 نوفمبر 1973 قال فيه:"حرب أكتوبر هي التي أتت بي إلى المسرح. حقيقة ليس المسرح غريبًا عليّ. فقد سبق لي أن مارسته تأليفًا وإخراجًا ومؤلفًا للأغاني. ولقد كتبت كثيرًا من الأشعار لمسارح الأقاليم، آخرها مسرحية (المسامير) لسعد الدين وهبة، ومسرحية "المشخصاتية"عندما قدمها مسرح الجيب في الموسم الماضى". ثم يفجر مفاجأة مدوية فى هذا الحوار تكشف لكل صاحب عقل وصاحب ضمير صدق قوله، وكذب غيره، فيما يخص مسرحية (مدد) وكلماتها الشهيرة. يقول زكي عمر:"قصة عروض هذه الأيام لها أكثر من جانب. فمثلاً العرض الذي يقدمه المسرح الحديث باسم (مدد) كان مفروضًا أن يُقدم قبل حرب 6 أكتوبر – لاحظ التوقيت هنا – فقد كان هناك اتجاه في الهيئة إلى تقديم قراءات شعرية، فقام الزميل المخرج عبدالغفارعودة بإعداد عرض عن ديواني "الحلم في عز الضهر" ولكن تأجل وقتها تنفيذ العرض"!.هذا التصريح يقطع فيه الشك باليقين نحو تحديد من هو صاحب(المسرحية ـ والأغنية).. أليس كذلك؟ ثم يكمل حديثه قائلاً:"وعندما جاءت حرب أكتوبر تذكرت الهيئة العرض الذي سبق أن قدمه المخرج عبد الغفارعودة، ليتم عرضه بالفعل ـ بعد إضافة كلمات مدد إليه ـ كأول عرض مسرحي عن حرب أكتوبر".. يكمل زكي عمر حديثه لصحيفة المساء قائلاً:"بعدما عُرض وقتها فكرت في أنه يمكن تقديم تجربة أخرى معه، فكانت مسرحية (الشرارة) التي تم تنفيذها في البداية عن طريق مسرح المنصورة القومي وعرضها هناك.

ثم انتقالها لمسرح الجمهورية بالقاهرة. بجوار عرض (مدد) الذي كان يعرض على مسرح الطليعة". والذى يؤكد هذا الكلام ويدعمه هو مقال الناقد المسرحي أحمد عبد الحميد الذى نشره فى صحيفة الجمهورية بتاريخ 5 ديسمبر 1977 عندما كتب تحت عنوان(ملحمة أكتوبر.. لم تكتب بعد) جاء فيه "ليس معنى هذا أن أحدا لم يكتب عن أكتوبر، أو لم يستلهمه أو لم يحاول التعبيرعنه. فقد كتب إسماعيل العادلى(حدث فى أكتوبر) وكتب سمير عبد الباقى(فى حب مصر) وكتب حمدي عباس(عبور) ..وسبق الثلاثة شاعر من الريف عبر عن الحدث المأمول قبل وقوعه. رآه ببصيرته، وخياله، ووجدانه قبل أن نعيشه..هو الشاعر زكي عمر الذى قُدمت له(مدد.. شدي حيلك يا بلد) بالقاهرة، ونفس الأشعار بالمنصورة باسم (مسرحية الشرارة) وكان العمل الوحيد الذى توهج على خشبة المسارح أبان سير المعارك ذاتها".

(8)

"مات الذي عبر

عاش الذي هبر

وكم فيك يا مصر من عبر"!

(القاهرة ـ أكتوبر ـ 1973)

بعد مرور 7 أيام على العبور، اتسعت الحرب في الشرق الأوسط، كما قالت الدوائر السياسية والعسكرية الأمريكية، وتغير ميزان القوى لصالح العرب. حدث ذلك رغم الرسالة التي أرسلها الرئيس السادات يوم 7 أكتوبر إلى هنري كيسنجر وزير الخارجية الامريكي، والتي ذكرها كيسنجر في كتابه (هنري كيسنجر ـ مذكرات ـ الجزء الثاني). وقال السادات فيها إنه لا ينوي الاستمرار في التقدم شرقًا بعد حصوله على تغيير الموقف في الجبهة تغييرًا ملموسًا، بالقدر الذي يسمح بالتدخل الأمريكي لوقف إطلاق النار، والبدء في المفاوضات للتسوية المقبولة. هذه الرسالة هي التي تم البناء على محتواها في رسم سياسيات الشرق الأوسط منذ ذلك اليوم(وحتى اليوم ـ وبعد اليوم)! وهي التي أيضًا كتبت نهاية أو تحجيم مشروع زكي عمر الشعري، ومشاريع أخري في الحياة الثقافية المصرية في ذلك الوقت، لأن الرئيس السادات بعد هذه الرسالة ـ ومن قبلها ـ كان قد اتخذ قراره بالسلام، وهو القرار الذي جعله في 19 نوفمبر سنة 1977 يذهب إلى إسرائيل وأمام الكنيست يبدأ حديثه قائلاً:" السلام عليكم..." ليرد عليه الكاتب محمود عوض بكتاب جامع شامل

صدرعام 1986 عنوانه: ".. وعليكم السلام"! قال فيه: إن الصراع (العربي ـ الإسرائيلي) لم يكن مأساة إغريقية ابتلانا بها القدر، ولا كان أيضًا تعبيرًا عن نزوة حاكم أو خيالات مفكر. إن فكرة قيام إسرائيل كدولة لم تبدأ إلا في الربع ساعة الأخيرة قبل انسحاب مصر من الشام في القرن الماضي. وفكرة السلام في المنطقة عبرت عنها إسرائيل كدولة في الربع ساعة الأولى من قيامها.. بتلك المعاهدة السرية التي عرضتها على الملك فاروق في القاهرة. واعتبرها الملك ـ بكل فساده ـ جرأة ضد مصر لا مثيل لها" ثم يطرح محمود عوض كل الأسئلة الكبرى للفحص والمراجعة. متسائلاً: "أي نوع من السلام؟ إن التناقض قاطع بين السلام الإسرائيلي وبين السلام العربي"!. إذن بدأت الإشارة لمنحى السلام منذ وصول الرئيس السادات للحكم، ثم تحولت إلى تطبيق عملي بعد رسالة يوم 7 أكتوبر إلى هنري كيسنجر.

*****

(مدينة المنصورة 1973)

زكي عمر حتى الآن يواصل حضوره الطاغي، القوي، ومازالت أشعاره وكلماته وفي مقدمتها(مدد .. مدد .. شدي حيلك يا بلد) تساند المعركة والجنود على الجبهة. ومازالت مسارح القاهرة من شدة المفاجأة غير مستوعبة أو مستعدة لعمل مسرحي يدعم المعركة، باستثناء فرقة المسرح الحديث التي تفاعلت بسرعة وتجاوبت، حسب تصريح الفنانة سميحة أيوب إلى سلوي جمجوم بمجلة "الكواكب" العدد ـ 1168 في 18 ديسمبر 1973. الذى قالت فيه:" المسرح الحديث من أوائل المسارح التي استجابت للمعركة وظهر ذلك في مسرحية (مدد.. شدي حيلك يا بلد) لقد بدأت المعركة يوم 6 أكتوبر، وكنا

جاهزين للعرض في 13 أكتوبر". وكانت الفنانة سميحة أيوب قد صرحت أيضًا إلى محمد عبد الفتاح في صحيفة "المساء" بتاريخ 3 ديسمبر 1973 قائلة: "لولا مسرحية (مدد) التي جهزت في ثلاثة أيام لاضطررنا إلي إغلاق المسرح". ولقد ظهر أول أفيش للمسرحية بتاريخ 13 أكتوبر 1973. والأفيش ـ أو الإعلان ـ هو دليل لا يقبل الشك أو التحريف أو التجهيل، حيث جاء فريق العمل فيه كالتالى: المسرح الحديث يقدم من اليوم والأيام التالية سهرة مع الكلمة واللحن والأغنية من أجل المعركة. الدخول بسعر رمزي 10 قروش لصالح المجهود الحربي. قام بالتمثيل.. عبد السلام محمد، مرفت سعيد، عبدالسلام عطية، محمد العناني، محمد منصور. رفع الستار الساعة الثامنة والنصف. موسيقي وألحان: محمد نوح. أشعار: زكي عمر ـ لاحظ هنا أنه لا يوجد اسم أى شاعر آخرغيره ـ وإعداد وإخراج عبد الغفارعودة الذي صرح للصحف بعد نجاح العرض قائلاً: "طلبت مني الفنانة سميحة أيوب أن نُسرع في تقديم عمل مسرحي ندعم به المعركة.. قلت لها هناك عرض نستطيع تقديمه بالسرعة المطلوبة. وعلى الفور اتصلت بصديقي وبلدياتي الشاعر زكي عمر وكان معي الملحن محمد نوح. وبدأنا على الفور تحضير"مدد". وبعد رفع الستار ـ كما يقول زكي عمر فى مذكراته ـ عن عرض (مدد) بأسبوع واحد:" كان مسرح المنصورة القومي يُعيد تقديم عرض (مسرحية الشرارة) من إخراج محمود حافظ.. وما لبث أن انتقلنا به إلى القاهرة ليعرض بجوار زميله (مدد). ثم انتقلنا إلى الإسكندرية وباقى المحافظات". إذن كان يعرض لزكي عمر العملان في وقت واحد، كما يقول الناقد سامي خشبة بنص كلامه في مقاله بصحيفة المساء بتاريخ

14 نوفمبر1973، حيث يؤكد قائلاً:" مسرحية..مدد فيها الشعر واحد.. لشاعر واحد.. من أبناء الدقهلية هو.. زكي عمر"! ورغم ذلك التأكيد والتوضيح، فإننا سنجد الفنان محمد نوح وشقيقه الكاتب حسين نوح والشاعر إبراهيم رضوان يقولون أن هناك مجموعة من الشعراء ـ بينهم عبد الرحمن الأبنودي وسيد حجاب ـ كتبوا أغانى فى هذه المسرحية، ولم تكتب أسماؤهم، مثلما حدث مع الشاعر إبراهيم رضوان. وهذا كلام لا يقبله المنطق ولا العقل، فكيف يقبل الأبنودي وحجاب ـ وهما من هما حينذاك فى الحركة الأدبية والشعرية ـ أن تحمل المسرحية(النص ـ والأشعار) اسم زكي عمر فقط فى الافيشات والكتابات النقدية وقت عرض المسرحية؟! دون ذكر اسميهما!

*****

" في عام القهر..
التالت والسبعين
قابلت عيدي
في سجن القلعة
والقوانين
محبوس لوحده
انفرادي.. مكتئب وحزين"

وبعدما انطلقت (مدد.. الأغنية ـ والمسرحية) في سماء القاهرة لمدة 4 شهور متتالية. أصبح زكي عمر من النجوم الساطعة في سماء المسرح والشعر معًا حيث لُقب وقتها بشاعر نصر أكتوبر. وهو الذي كان يعرف قبل ذلك بـ "ابن الريف". عن تلك الأيام يقول فى مذكراته:"فجأة استيقظت ذات صباح،

لأجد نفسي وقد اصبحت نجماً.. رجال أعمال القطاع الخاص يطلبونني، والمطربات من الدرجة الثالثة وأدناها يطاردوننى.. (مش معقول، مش ممكن..) بصراحة خفت، وتصورات أن هناك مؤامرة ضدي، وأن هناك من يعمل على أن انسي عنوانى، مثلما فعلوا مع آخرين قبلي"! ثم يكمل اعترافاته عن هذه المرحلة بمفاجأة غريبة، وعجيبة، ومذهلة وكتبها ـ بخط يده ـ بعبارات واضحة وصريحة قائلاً:"بعد عرض مسرحية (مدد.. شيدي حيلك يا بلد) تم اعتقالي بتهمة كتابة وحيازة أشعار مناهضة لنظام الحكم"! إذن عاد زكي عمر للمعتقل مرة جديدة.. والسبب.. مدد مدد .. شيدي حيلك يا بلد! هنا لم يلتقط زكي عمرـ بحسه السياسي ـ متطلبات المرحلة (مرحلة السلام..السلام) وتقلباتها، واتجاهاتها الجديدة نحو الخيار الاستراتيجي بعد نصر أكتوبر؛ فهو مازال على قرويته، وبساطته، وفكرته، وثوريته، التي تربي عليها منذ طفولته، وبالتالي لم يعرف ـ وربما عرف متأخرًاـ أن الموقف السياسي تغير وتحول، وأن المرحلة انتقلت بنا من عصر الكفاح إلى عصر الانفتاح، ومن صوت أم كلثوم إلى صوت أحمد عدوية ـ بالمناسبة أنا أحب صوت عدوية ـ ومن عصر والله زمان يا سلاحي، إلى عصر آخر تبدل فيه السلاح، من سلاح إلى سلاح آخر، حتى وصلنا إلى السلاح الذي عُرف منذ ذلك اليوم باسم السلام خيار استراتيجى.. هذا الخيارـ أو هذا الاختيارـ السياسي جعل الدكتورة لطيفة الزيات تكتب في مذكراتها (أوراق شخصية) تقول:" لِمَ أنا سعيدة والمعركة التي أردت لها أن تكون حرب تحريرية شاملة، أوشكت أن تتجمد من جديد في المستنقعات المسمومة"! هذه المستنقعات ستجدها بطبيعة الحال مرفوضة لدى المثقف المصري الحقيقي؛ لأنه "من طبائع الصفات المميزة

لثقافتنا المصرية أنها تقوم على وحدتنا الوطنية وتتصل اتصالاً قويًا بنفوسنا المصرية القديمة" كما يقول طه حسين في كتابه مستقبل الثقافة في مصر.

*****

(مسرح الجمهورية – 1973)

على خشبة المسرح عرضت (مسرحية الشرارة) بالتزامن مع مسرحية (مدد.. شدي حيلك يا بلد) وحازت إعجاب الجمهور والنقاد معًا، فالمخرج نور الدمرداش قال عنها: "مسرحية الشرارة قنبلة حماسية". والناقد فتحي العشري كتب: "عرض جيد فيه الحماسة وفيه المبادرة وفيه الفن ويكفيه فوق ذلك ـ وقبل ذلك ـ أنه يحمل وسط معركة التحرير كلمة شريفة تصل إلى الجماهير وتشحذها".. وقال الإذاعي شفيع شلبي:" شعرت بكل كلمة سمعتها بصوت وآراء معبرة لأناس يحسون الكلمة، والمعنى، دون تكلف، ولا انفعال". وقال الناقد غالب هلسا:" لقد أيقظ في نفسي هذا العرض مشاعر جميلة صادقة وقد اجتمعت فيه عناصر متميزة أخص فيها الشعر الممتاز والموسيقى الجيدة والأداء. إن مثل هذا العمل هو مشاركة فعالة في المعركة وطلقة في صدر كل الأعداء بلا استثناء". وقال المخرج باسيلي جريس: "أشكر كل فرقة المنصورة لأنها كانت أصدق منا، وأسرع منا في التعبيرعن حاجات كثيرة في داخلنا كنا نهمس بها منذ زمن". وقال الكاتب سعد هجرس: "ولأن الشرارة عمل أصيل فقد جاءت طلقة لا تخيب، وجسرًا صلبًا للعبور إلى النصر؛ ولأن الشرارة عمل كفاحي فقد جاءت ضربة لكل الحقارات التي غمرت حياتنا بمرارة سنوات الهزيمة.. أحيي كل من اشتركوا في هذا العرض العظيم وأوجه تحية خاصة للشاعر زكي عمر".

*****

(مسرح الطليعة – 1973)

أما الكتابات النقدية عن عرض (مدد .. شدي حيلك يا بلد) فقد جاءت بدايتها مع حمدي الجابري ـ أستاذ بمعهد الفنون المسرحية ـ الذي نشر في صحيفة الجمهورية بتاريخ 27 أكتوبر 1973 قائلاً: "استطاع المسرح الحديث تقديم عرض (مدد) في ثلاثة أيام لتكون أروع تعبير مسرحي عن الحرب" ثم يذكر في مقاله كلمات:"(مدد.. مدد مدد/ شدى حيلك يا بلد/ إن كان في أرضك مات شهيد/ فيه ألف غيره بيتولد)" ويؤكد أنها للشاعر زكي عمر وليس لأي شاعر آخر.. ويكمل قائلاً: "وتستمر الأغاني لتستحضر التاريخ الإسلامي وأمجاده فتقول عن سيف الله المسلول خالد بن الوليد: (بكرة الوليد جاي من بعيد/ راكب خيوال فجره الجديد) ثم يعلق قائلاً: "ولقد استطاع المخرج عبد الغفار عودة استغلال إمكانيات شعر شاعر المنصورة زكي عمر ـ لاحظ لم يذكر الأبنودي ولا سيد حجاب ولا إبراهيم رضوان ولا غيرهم ـ مع إمكانيات الممثلين في هذا العمل". وفى صحيفة الجمهورية كتبت فريدة النقاش ـ بتاريخ 25 أكتوبر1973 ـ قائلة: ("إن كان في أرضك مات شهيد / فيه ألف غيره بيتولد") ثم تؤكد أن "هذه الكلمات في العرض الشعري الذي كتبه بسرعة شاعر العامية زكي عمر وليس أي شاعر آخر"! وفي صحيفة المساء ـ بتاريخ 29 أكتوبر 1973 ـ كتب أحمد عبد الحميد قائلاً: "لم تجد المنصورة كما لم تجد القاهرة؛ إلا أشعار زكي عمر ترددها وتتصل بها كتل الجماهير"!. وكتب نبيل بدران في مجلة آخر ساعة ـ بتاريخ 1 نوفمبر1973ـ قائلاً: "كلمات الشاعر زكي عمر قوية ومؤثرة وتعبرعن بساطة وعبقرية الروح المصرية". وكتب

فتحى العشري في الأهرام ـ بتاريخ 26 أكتوبر 1973 ـ بما هو يقين وليس به التباس أو شك قائلاً:"مدد.. مدد.. لشاعر المنصورة المناضل زكي عمر والتي عهد بها إلى الملحن والمُغني الجاد محمد نوح والتي تُعرض الآن على المسرح الحديث". وكتب عبدالنور خليل في مجلة المصورـ بتاريخ 27 ديسمبر 1973 ـ قائلاً: "(مدد .. مدد.. شدي حيلك يا بلد/ إن كان في أرضك مات شهيد/ فيه الف غيره ح يتولد) هذه القصيدة الشعرية التي كتبها شاعر يكاد أن يكون مغمورًا من المنصورة اسمه زكي عمر"! وكتب السيد حافظ في صحيفة الأنباء الكويتية : "محمد نوح استغل أشعار زكي عمر في حرب 73 وخرج بها إلى المجتمع العربي". وكتبت سهام بيومي وهي تنعي ـ زكي عمر ـ بعد رحيله في مقال نشر بصحيفة "الجمهورية"ـ بتاريخ 11 أغسطس 1987 ـ قائلة: "سمعنا اسم زكي عمر لأول مرة عقب هزيمة يونيو 67 يعلن رفضه للهزيمة بصوت مدوٍ قائلاً: مدد.. مدد. مدد .. شدي حيلك يا بلد/ إن كان في أرضك مات شهيد/ فيه ألف غيره بيتولد/ مدد .. شيدي حيلك يا بلد") هذه بعض الكتابات النقدية التي استقبلت الشاعر زكي عمر وأشعاره بكل هذا التقدير والإعجاب، ولم يثبت مطلقًا فيها أن وجد اسم شاعر آخر للمسرحية أو لأغانيها أو أشعارها سوى أنها من تأليف الشاعر زكي عمر.

(حي الزمالك – ٢٠٢٠)

الخطير في الأمر أن جريمة سرقة (مدد..مدد.. شدي حيلك يا بلد) لم تتوقف عند سرقة الكلمات فقط من شاعرها الحقيقي زكي عمر، ووضع اسم الشاعر إبراهيم رضوان عليها؛ بل إنها امتدت إلى اختفاء – أو قل سرقة – المسرحية كلها (النص نفسه) من أرشيف وزارة الثقافة المصرية، متمثلة في

المركز القومي للمسرح والموسيقى والفنون الشعبية، والمنوط به – بالأساس– حفظ تراثنا المسرحي عبر تاريخه القديم والحديث! (ألا يكفي"جراد الذاكرة" الذي خرج علينا من شقوق الأرض، وهجم، ونبش، وخطف، وسرق – تراثنا السينمائي من قبل ..ألم يكفه تلك الجريمة، فذهب – أو ذهب أعوانه – ليسرقوا تراثنا المسرحي عن نصر أكتوبر هو الآخر)! لقد ذهبت ـ وذهبت ابنته أمل ـ إلى المركز الكائن فى حي الزمالك الراقي على نيل القاهرة، وبحثت بين مسرحيات تراث نصر أكتوبر عن مسرحيتي(الشرارة – ومدد شدي حيلك يا بلد) للشاعر الراحل زكي عمر، ضمن أرشيف المركز، فوجدت جميع المسرحيات التى قُدمت عن نصر أكتوبر موجودة فى الأرشيف؛ باستثناء مسرحيتي زكي عمر ! لقد اختفى العملان رغم أن المركز في عام 2015 أصدر كتاب – أو كتيب – عنوانه سلسلة (مسرحيات حرب أكتوبر) به مقدمة لوزير الثقافة ـ حينذاك ـ حلمى النمنم، ومقدمة أخري للمخرج خالد جلال بوصفه رئيس قطاع شئون الإنتاج الثقافي وقتها يتحدثان فيه عن قيمة، وأهمية، وحتمية، هذا المشروع لحفظ تراثنا المسرحي الخاص بنصر أكتوبر. المؤلم، والمحزن، والكارثي فى الأمر أنني، وجدت بين صفحات الكتاب اسمي المسرحيتين موجودان، ضمن أسماء النصوص التي يتحدثان عنها (الوزير حلمي النمنم – والمخرج خالد جلال). وعندما جلستُ فى المركز عدة ساعات، انتقل من مكتب إلى آخر.. ومن موظف إلى موظفة، ومن الدور الأرضي إلى الدور الأعلى.. أسأل، وابحث، وافتش عن مسرحية (مدد.. شدي حيلك يا بلد) التى تحمل اسم مؤلفها، وكاتبها، وشاعرها الأوحد زكي عمر والتى تقاضي عليها من وزارة الثقافة عام ١٩٧٣ مبلغ ٣٦ جنيه –حسبما

نشرت مجلة صباح الخير بتاريخ (٢٥يناير ١٩٧٧)- كأول مسرحية انطلقت لتساند جنودنا على الجبهة، وهذا بإعتراف الفنانة القديرة سميحة أيوب نفسها فى تصريح لها للزميل محمد عبد الفتاح نُشر فى صحيفة المساء بتاريخ ١٥ ديسمبر ١٩٧٣ قالت فيه: "لولا مسرحية مدد... شدي حيلك يا بلد التى جهزت فى ثلاثة أيام لاضطررنا إلى إغلق المسرح"! للاسف الشديد لم أجد لهما أي أثر! لقد جاءت أشعار زكي عمر الحماسية، الصادقة، فى هذا النص (مدد..) كأول عمل قُدم عن العبور. وهذا كله يُثبت الجريمة ولا ينفيها! فهل كانا -الوزير حلمي النمنم والمخرج خالد جلال- يعرفان بهذه الكارثة؟ أنا لا اعتقد ذلك. إذن هل تم توريطهما فى الأمر لدرجة أنهما يكتبان مقدمتان لكتاب يضم بين أوراقه مسرحيات سُرقت أو اختفت؟! ربما..!

لكن فى نهاية الأمر نحن أمام جريمة أخرى، ليست في حق زكي عمر فقط، ولكنها في حق الوطن نفسه! إن جريمة سرقة تراثنا المسرحي ـ وهو ليس أي تراث إنه تراث حرب أكتوبر 1973 المجيدة ـ يجب ألا تمر دون مساءلة، أو تحقيق أو توضيح من وزارة الثقافة ذاتها. لقد سُرقت الكلمة التي كانت تُساند الجنود على الجبهة. سرُقت الصرخة الصادقة في وجه الهزيمة. سُرقت كلمة المقاومة، والتضحية، والفداء، والنداء من أجل الوطن قبل الحرب وبعد الحرب. وهذه يا سادة جريمة في حق شهداء نصر أكتوبر وليس فى حق الشاعر زكي عمر وإبداعه. لذلك يجب على وزارة الثقافة، وعلى الهيئة الوطنية للإعلام، وعلى قطاعات المسرح، تشكيل لجنة تحقيق مشتركة بينهم جميعاً، يُستدعى لها كل مسئول شارك بالفعل أو بالجهل أو بالصمت في هذه الجريمة التي لا تسقط بالتقادم أو بالسكوت عنها. ومن المؤكد أن هذه الاختفاء – أو

هذه السرقة – لنصوص وأشعار الشاعر زكي عمر ..قد تمت ـ فيما اعتقد ـ ليتم التغطية على الجريمة الأولي الاصلية التى تمت لكلمات "مدد.. مدد.. شدي حيلك يا بلد " والتى جرت وقائعها آواخر عام 1974 بعدما تم تحجيم، وتهميش، واستبعاد، واعتقال زكي عمر – للمرة الثانية بسبب تلك الكلمات – ثم قهره، وطرده، ونفيه، خارج مصر كلها فى عهد نظام الرئيس الراحل أنور السادات، ليعيش مهاجراً فى دولة اليمن حتي موته غرقاً عام ١٩٨٧ فى بحر الخليج العربي.

(9)

"كتيرة – حببتي – دروب الحياة.
كتيرة المداخل، كتيرة المخارج.
كتيرة – حببتي– كتيرة.. المسالك.
كتيرة السكايك.
كتيرة.. كتيرة.. ولكن، كذلك.
كتيرة – حببتي– دروب المهالك.
كتيرة – باقولك – وانتي الشهود.
وانتي القضية.. وانتي القضاة.
وانتي الجناة.
وانتي ـ حببتي– شطوط النجاة"

*****

(مدينة المنصورة ـ 1974)

وفى منتصف عام 1974 اعُتقل زكي عمر ـ للمرة الثانية ـ وذهب وراء الزنازين. وبالمقابل ـ وبسبب غيابه القسري ـ اختطفت وسُرقت كلماته "مدد" وتبدلت كلماتها لتناسب المرحلة بكل متطلباتها السياسية ونُسبت للشاعر إبراهيم رضوان، ومن المؤكد ـ وبمنطق الأشياء ـ أن هذه السرقة لم تحدث ببعيد عن ملحنها ومغنيها الفنان محمد نوح، لتبدأ مصر مع هذا العصر ـ عصر التغيير والتبديل والتحويل ـ مرحلة جديدة من الخطاب السياسي والثقافي والغنائي تمهيدًا لمحادثات فض الاشتباك الأول والثانى والكيلو 101 وفندق

مينا هاوس. ومباحثات أسوان التى بكى فيها المشير محمد عبد الغني الجمسي رئيس أركان حرب القوات المسلحة الأسبق..(قال كيسنجر إنه يضع استرتيجية للسلام مستقبلاً وهو موضوع هام. وفى سبيل ذلك تم الاتفاق ـ مع الرئيس السادات ـ دون علم الجمسي ـ على الأعداد المقترحة من القوات المصرية والأسلحة لتكون فى شرق القناة. قلت له ـ والكلام للمشير الجمسي فى مذكراته ـ "إنى لا أتحدث عن السلام، ولكني اتحدث عن تأمين قواتنا .. وتركت غرفة الاجتماعات بانفعال، بعد أن اغرورقت عيناي بالدموع.. واتجهت للحمام"! وما حدث بعد ذلك من زيارة السادات إلى الكنيست وزيارة الرئيس الأمريكي نيكسون "بابا"(بتاع الفول والزيت) ـ على حد وصف أحمد فؤاد نجم ـ للقاهرة، حتى وصلنا إلى يوم 17 سبتمبر 1978 الذي وقع فيه الرئيس السادات اتفاقية كامب ديفيد. ثم ما تلاها من توقيع معاهد السلام في 26 مارس 1979. هنا عندما تدمع عين قائد من قادة العسكرية المصرية العظام ـ بسبب هذه المرحلة ـ برغم ما به من قوة، وتحمل، وصبر، وثبات انفعالى، فماذا سيكون عليه حال شاعر بتركيبة زكي عمر الشخصية؟! هذا السؤال سيجيب عنه زكي عمر نفسه فى الأبيات التالية قائلاً:

كل الأشياء بتقولك: هج يا شاعر

كل الأشياء بتقولك: هاجر

كل الأشياء

الكل وقبض الريح، هباء

ما عاد هناك رجاء

ما عاد لصوت الصدق منابر

*****

(مدينة المنصورة – 1975)

إلى قريته ومدينته عاد زكي من المعتقل صامتًا لا يتكلم، حزينًا يتألم.. بداخله ألف سؤال وسؤال.. خاصة وهو مازال في حالة دهشة واستغراب، مما حدث له للمرة الثانية خلال شهور معدودة؟! لقد أُعتقل بعد الهزيمة، لأنه يغني للوطن الجريح المنكسر. واعُتقل بعد العبور، لأنه يغني للوطن الكبير المنتصر. فماذا هو فاعل؟ لا يعرف ولا يدري ماذا يفعل! وما بين الاعتقال والإلغاء والمنع، وبتركيبته الإنسانية البسيطة، عاش بين جدران شقته المتواضعة صامتًا شاردًا. فى المقابل وبعد التغيير الذي حدث في المشهد السياسي تنقل الفنان محمد نوح بـ (مدد) من المسارح إلى النوادي والمنتديات، والمناسبات القومية، والاجتماعية، والأفراح، والليالى الملاح، بعدما تحولت الكلمات من نشيد وطني يعبر عن مرحلة النصر. إلى نشيد آخر يعبر عن مرحلة السلام، فى ظل التحول من عصر إلى عصر ومن مصر إلى مصر أخرى لا يعرفها زكي عمر. ومن الطبيعى في ظل تضييق الخناق عليه، وما يمثله من أفكار وقضايا أن يتجاهل الفنان محمد نوح ذكر اسم صاحب الأغنية تمامًا وكأنه هو ملحنها ومغنيها.. وكاتبها! هذا الأمر حتى هذه اللحظة لم يشغل ذهن زكي كثيرًا؛ فهو يعرف أن نوح ـ وهو صديقه وقتها حسب قوله ـ ربما يخشى من ذكر اسمه بسبب الحصار السياسي المفروض عليه، ناهيك عن أنه (أي زكي) روح عظيمة. والأرواح العظيمة، لا تتوقف كثيرًا أمام تلك الأشياء التي تراها صغيرة، ولا تستحق حتى ذكرها والحديث عنها. لكن بعد فترة من الوقت، تطور الأمر بالفنان نوح، وبدأ ينتقل بالأغنية من النوادي إلى الملاهي الليلة،

بعدما تحولت إلى أيقونة بالنسبة له أو بمعني أدق"دجاجة" تبيض له كل ليلة ذهبًا. علم زكي بذلك، فتواصل معه في محاولة لمنعه من غناء تلك الكلمات التي كتُبت لمصر، وليس من الوطنية أن تُغنى للراقصات، والسكارى، والغواني في شارع الهرم. لكن المحاولات باءت جميعها بالفشل. الشاعرعوض الشيخ ابن قريته يؤكد أن:" زكي عمر ذهب غاضبًا ذات ليلة إلى محمد نوح في أحد الملاهى الليلية بشارع الهرم، وعنفه بدرجة وصلت إلى حد التطاول بالألفاظ بينهما أمام رواد الملاهي". ورغم ذلك واصل نوح الغناء في كل مكان يراه مناسبًا من وجهة نظره الخاصة، دون الالتفات إلى اعتراضات زكي عمر. وعندما لم يتراجع اتجه زكي للصحافة يعلن صرخته، وشكواه!

*****

(شارع قصر العينى ـ 1977)

في الدور الخامس بمبنى مؤسسة روزاليوسف العريقة، يجلس الكاتب الصحفي منير مطاوع ـ يعيش الآن في العاصمة البريطانية لندن ـ وبجواره الشاعر زكي عمر، الذي جاء يقدم شكواه، ضد الملحن محمد نوح، وبالفعل حدث ذلك، واستقبلتها صفحات مجلة صباح الخير، ونشرتها في الأسبوع التالي هكذا: في البداية سنجد أعلى الصفحة رسم كاريكاتير للفنان حجازي، رسم فيه (فتاحة علب) ووضعها على ترابيزة كبيرة، وكتب فوقها(بشتغل في شارع الهرم.. بفتح)! ثم أسفل الرسم سنجد عنوانًا صغيرًا من عدة كلمات يقول: أغانى ثورية... في الملاهى الليلية! وأسفل هذا العنوان سنجد عنوانًا رئيسيًا بنط كبير تقول كلماته: (نوح.. يجمع النقوط على أشعار مسروقة)! بعد ذلك سنجد صرخة الشاعر زكي عمر والتي كتبها في ذلك الوقت. وفوقها سنجد

منير مطاوع يكتب قائلاً : "تحت هذه العناوين التي نضعها كما هي على رأس الصفحة، كتب الشاعر زكي عمر سطورًا مشحونة بالانفعال، والضيق من صديقه السابق كما يسميه محمد نوح"! ثم يكمل منير مطاوع قائلاً: "جاء الشاعر يحتمي (لاحظ لفظ يحتمي) بصفحات صباح الخير التي قدمت بواكير أشعاره من الاستغلال الذي وقع عليه" وهذه عبارته أيضًا. ثم يقول منير مطاوع: "جلس بجواري، ونقل مشاعره إلى الورق.. في البداية تحدث باقتضاب عن الأزمة التي نقلت الأشعار البسيطة الثورية، والوطنية من مكانها الطبيعي على خشبة المسرح القومي ومسرح الطليعة إلى أغرب مكان يمكن أن يستمع فيه أحد لشعر الثورة، والتحرير، والكفاح، والوطنية.. إلى كباريهات شارع الهرم. وقبل أن أترك السطور التالية لنقرأ بعض ما في الأوراق التي عهد بها إلينا الشاعر..أريد أن أذكر بعض أعمال زكي عمر.. مثل الأشعار التي قام عليها البناء الدرامي لمسرحية (مدد.. مدد) التي قدمتها هيئة المسرح خلال الأيام الأولى لمعركة أكتوبر. كان يقول فيها:

"مشوارنا لسه في أوله

ومادام بدأنا نكمله

فاتحملوا.. وما تقلقوش"

وأغنيات الأمل التي قام عليها العرض في مسرحية المشخصاتية..

ومنها:

"يا بكرة الجاي تعالى أمان

تعالى راكب الرهوان

تعالى دق ع البيبان

وصحيني وخد بإيدي

وعديني لبر الشمس والضحكة"

.. وأشعار كثيرة نشرت في الصحف وفي دواوينه. ثم يعطي منير مطاوع الفرصة لزكي عمر ليتحدث بنفسه عن نفسه قائلاً: "منذ حرب أكتوبر ونوح يستغل أشعاري في كل مكان، لجمع الفلوس، ولا شيء غير الفلوس.. تحت سمع وبصر هيئة المسرح التي عملت ودن من طين وودن من عجين! لقد تقاضيت عن مسرحية (مدد.. مدد شدي حيلك يا بلد) مبلغ 36 جنيهًا و53 قرشًا .. ولا أدري كم تقاضى نوح من هيئة المسرح عن هذه المسرحية؟ وهذه الأشعار التي اشترتها هيئة المسرح، وغيرها من أشعاري يرددها نوح في الملاهى الليلية.. ويلم عليها النقوط! وأنا أرفض الوضع من حيث المبدأ، غير معقول أن أكتب الأشعار للكباريهات.. ثم أن هذه سرقة فنية مني ـ لاحظ اتهامه المهذب لنوح ـ ومن هيئة المسرح. وهناك أشعار أخرى يغنيها، دون إذن مني.. وهذه جريمة. وأمام كل هذا أقوم الآن، بالإعداد لرفع دعوى مستعجلة على المطرب محمد نوح وعلى شركة صوت الحب التي ظهرت هذه الأشعار والأغاني على أشرطة كاسيت باسمها.. وتباع في الأسواق المحلية والعربية والعالمية. وأغنية أخرى هي(احميني) ظهرت من قبل، كأسطوانة باسم نفس الشركة، دون تعاقد معي. وسأقاضي أيضًا الكباريهات، والملاهي الليلية، التي

يغني فيها نوح الأشعار المسروقة حتى يوقف هذا الاستغلال والابتذال، وحتى أحمي سمعتي الأدبية، وحتى نحمي الناس من فوضى الأغاني والأشعار الثورية في الملاهي الليلية". ثم يختم منير مطاوع هذا المنشور أو البلاغ الرسمي عبر السلطة الرابعة للرأي العام من شاعر ضد ملحن قائلاً ومعقبًا:"انتهى كلام زكي عمر.. ولا تعليق". لكن فيما يبدو بعد شعوره بالظلم الذي تعرض له الرجل. عاد منير مطاوع يعلق قائلاً: "هنا سؤال! ماذا يقول محمد نوح؟ هل يسمعنا؟ أم إنه (غرق) في طوفان من(النقوط)"؟!..لكن المطرب الراحل محمد نوح وقتها لم يسمع ولم يعلق.. ولم يرد على الصحافة، والتزم الصمت حتى يرى ماذا سيفعل زكي عمر في مشواره نحو استرداد حقه عبر القضاء الذي قال إنه سيتوجه إليه ضده وضد الشركة المنتجة؛ لكن زكي لم يذهب للقضاء! وذهب مهاجراً خارج الوطن.

(10)

شِيل النتيجة اللي ع الحيطة
أنا في عَرضك .
شِيل "المنبه" وشِيل الساعة دي بَرضك
وأحجب شعاع القمر
والشمس عن عيني
عايز أعيشها كده.. من غير حساب.. فُضك!

*****

(مدينة المنصورة ـ 1975)

"المثقف في بعض المجتمعات، يجد نفسه أمام خيارين: التكيف مع الوضع القائم، فيصبح رقيبًا على نفسه، أو إنه يرفض الوضع ويعمل ضده ولو بالهجرة"هذا ما يقوله الباحث هشام شرابي في كتابه (مقدمات لدراسة المجتمع العربي) . وزكي عمر بعد عام 1974 قررأن يختار الطريق الثاني حيث هاجر هجرة داخلية من القاهرة التي فتحت له أبوابها منذ عام 1971 وحتى أوائل 1974 واستقبلت أشعاره ومسرحياته التي كانت تدعو للمقاومة والحرب، وعاد إلى مدينته في قلب الدلتا رافضًا، تلك المرحلة التي اتجهت نحو انتقال المشهد السياسي إلى مرحلة السلام تمهيدًا لمعاهدة كامب ديفيد التي رفضتها تيارات سياسية حاشدة وبالتالي أصبحت الساحة الإعلامية والثقافية والموسيقية والمسرحية ترفض وجود هذا التيار وتطارد من يسانده؛ لذلك

سنجد الحصار يشتد ويمتد عليه حتى أن محافظة الدقهلية ـ وبقرار من المحافظ محمد الدكروري ـ ألغت انتدابه من مديرية الزراعة بمدينة دكرنس إلى قصر الثقافة بالمنصورة، وتم منعه من كتابة مقالات أو أشعار في مجلة المنصورة في ذلك الوقت. في المقابل وجد الملحن محمد نوح فرصته في الاستحواذ على كلمات (مدد ..مدد) غير أن العقبة التي كانت أمامه ـ في ظني ـ هي زكي عمر نفسه، الذي كان يرفض الاستفادة المادية من غناء الأغنية في الملاهي الليلية، بعد توقف عرضها على مسارح الدولة. هذا الرفض لم يكن مقبولاً لدي الفنان محمد نوح بعدما ارتفعت أسهمه فى بورصة الغناء والذي يؤكد ذلك هو ما أشارت إليه مجلة الموعد ونشرته في عددها الصادر في 8 يناير عام 1976 حيث ذكرت أن أجر محمد نوح في ملاهي شارع الهرم وصل إلى 300 جنيه في الليلة الواحدة (لاحظ قيمة الجنيه في ذلك الوقت). ولقد غرق بالفعل محمد نوح في أموال الملاهي بأغنية (مدد.. مدد) بالطبع لدرجة أن صحيفة الجمهورية في 26 أغسطس 1975 نشرت خبر خطبة نوح، والتي احتفل بها في الملهى الذي كان يغني فيه. هذا الوضع كان يرفضه الشاعر زكي عمر وأعلن خجله منه، فهو لم يكتب الأغاني الثورية، لتغنى في الملاهي الليلية ـ حسب قوله ـ لكن في نفس الوقت هذا الوضع لم يجده الملحن محمد نوح مخجلاً بالمرة. على العكس تمامًا كان يدافع عنه مثلما جاء على لسانه في مجلة روزاليوسف في عددها الصادر بتاريخ 28 نوفمبر 1977 عندما هاجمه المحرر الصحفي ـ حينذاك ـ طارق الشناوي من خلال أسئلة حوار أجراه معه. فرد عليه قائلاً: "شارع الهرم ليس عيبًا .. وكل أرباحي من شارع الهرم أدخرها لمسرح غنائي". هذا النجاح المدوي للأغنية جعل صحيفة اللوموند الفرنسية بحسب تصريح محمد نوح

نفسه أيضًا لمجلة روزاليوسف بتاريخ 19 نوفمبر 1973 تدعوه على نفقاتها الخاصة ليزورالجزائر وتونس وفرنسا ليغني (مدد) وأغنية (أحميني) لزكي عمر أيضًا، التي لم يتقاض عليها أي أجر. وفى 10 يناير 1974 نشرت مجلة صباح الخير خبرًا يقول: إن شركة صوت الحب للأسطونات، قررت توقيع عقد احتكار مع فرقة النهار التي قدمت عرض مسرحية (مدد) خلال شهر أكتوبر، بعدما وزعت أغنية(مدد) 18 ألف نسخة، وهو رقم قياسي في ذلك الوقت، ولم يتقاض زكي منها جنيهًا واحدًا. هذا التعاقد كان يتطلب وجود صاحب للأغنية ليوضع اسمه عليها، أثناء توقيع العقد مع الشركة. ومن هنا وربما ـ من قبل هنا ـ كان محمد نوح قد قرر التخلص تمامًا من اسم زكي والبحث عن اسم شاعر آخر. وساعده في ذلك المشهد السياسي الذي فُرض على غالبية المنتمين لليسار الابتعاد أو الاختفاء بسبب المطاردات السياسية والأمنية. وبالفعل وجد "نوح" ضالته في اسم الشاعر إبراهيم رضوان، الذي هو بالأساس بلديات زكي عمر ويكتب الشعر ـ وهو شاعر جيد لا شك في ذلك ـ وينشره أيضًا ضمن مجموعة شعراء المنصورة (محمد يوسف ومصطفي نصار والشربيني عطية وسليمان وردة ومحمد الشيمي) وغيرهم. والشاعر إبراهيم رضوان كان يُعايش النجاح الساحق للكلمات منذ انطلاقها على لسان زكي عمر في شوارع المنصورة منذ عام 1968. ثم في مدرجات جامعة القاهرة بين طلابها مطلع 1971 وعام 1972 ومسرح الطليعة عام 1973، لأنه (أي إبراهيم رضوان) طبقًا لبطاقته الشخصية مواليد عام 1942. وتقول البطاقة الشخصية لزكي عمر إنه مواليد عام 1938، مما يعني أنهما أبناء جيل واحد

ومدينة واحدة. زكي عمر من قرية كفر الأعجر التابعة لمركز وبندر المنصورة وإبراهيم رضوان من مدينة طلخا على الضفة الأخرى من النهر.

*****

(المنصورة – 1977)

ومرت الأيام صعبة على زكي ، بعد عودته من القاهرة، حيث أدرك ـ ربما متأخرًا أيضًا ـ ما أدركه الروائي علاء الديب وهو يُشخص حالة الإبداع في مصر عندما قال في كتابه (وقفة قبل المنحدر):"أيقنت أن حرفة الصحافة والكتابة حرفة ناقصة في بلادنا، وفي عصرنا، وهي حرفة في حاجة إلى قوة، قوة من نوع خاص تساندها". وزكي عمر لا توجد قوة تحميه أو تسانده سوى موهبته؛ لكن الموهبة في عالمنا العربي لا تحمي نفسها أو صاحبها، فهي وباء وابتلاء أحيانًا. وزكي إنسان بسيط، ونبيل، وشريف، ومترفع بطبعه عن الصغائر، ومسالم، وهادئ، وصامت، إلى حد الملل، فهو تركيبة الفلاح المصري الأصيل، الذى لا يستطيع أن يفعل أكثر مما فعله حيال اضطهاده وسرقته من أن يصرخ ويقول: مظلوم!. وماذا فعل الفلاح المصرح القديم (الفلاح الفصيح) ـ بالقياس على ذلك ـ غير أنه أطلق شكواه وصرخته ضد الظلم الذي تعرض له قبل 4200 سنة؟! يقول زكي عمر عن نفسه: (لم أكن أحلم بما أنا فيه، فمن بعد الحياة الصعبة، وأيام الترحيلة التي عشتها، والظروف التي مررت بها، لم يكن مقدرًا لي أن استمر في الحياة، بل كان يمكن أن تكون حياتي متغيرة تمامًا عما هي الآن). هذه الظروف التى تحدث عنها، ومر بها، ربما هى نفسها التى ذكرها عميد الأدب العربي طه حسين ـ فى معرض محاضرة له عام 1973 بباريس ـ عندما قال:" إنى انتمى إلى بلد ـ هو مصر ـ شاءت التقاليد فيه

أن يكون رجل الأدب على اقتناع، بأن حرفته تستلزم معاناة الفقر، بل ومعاناة الاضطهاد فى بعض الأحيان. ففى الشرق ينبغي على الأديب الذى يريد أن يكون خليقا بهذا اللقب حقاً وصدقاً أن يقتنع بأن الحياة ليست راحة ولا متعة، وبأنها فى حقيقة الأمر تعب وشقاء. وعليه أن يسلم بأن البؤس، وسوء الحظ هما القاعدة، وليس الاستثناء"هنا ينتهى تشخيص د. طه حسين، لحال الإبداع وصناعته فى مصر ووطننا العربي الكبير.. وربما يكون زكي عمر قد أدرك ذلك تماماً، بعدما عاش الفقر، البؤس، والشقاء، والاضطهاد من المهد إلى اللحد..أليس هو القائل؟

"واحد زي يا فندي

م الدار للغيط..

م الغيط للدار

عريان الضهر،

ماليش مشوار

لجلن ما يكون في الدار

اللقمة والهدمات

والضحكة الواسعة العالية والموال".

هذا التواضع الشديد، والرضا، والقناعة، وعدم التكالب على المكاسب، والمصالح، والشهرة، والمال جعله يواصل صمته الغريب والعجيب في تلك الأيام الصعبة. والتى لم تكن صعوبتها فقط بسبب السرقة والقتل المعنوي الذى تعرض له، ولكنها كانت بسبب التضيق والتهميش الذي طاله وحاصره من كل جانب.

(11)

(القاهرة ـ 1977)

"العبرة ما هيش في الشعر وبس.. يا هوه

العبرة في اللى قالوه

في سلوك الشاعر .. ذاته

هل هو بيقول الشعر ويدفع تمنه؟

أم هو بيقوله وبقبض تمنه"؟

ولقد دفع زكي عمر الثمن بغير حق.. وقبض غيره الثمن بغير حق! وهذه الأسئلة التي طرحها فى الأبيات السابقة، ظلت بالنسبة له حتى موته بدون إجابة. فهو يحب الشعر، ويراه كما يراه كل الشعراء النبلاء ـ وليس شعراء السلاطين، والملوك، والأمراء، وعبدة الدينار، والدولار ـ قبسًا من السماء للحياة، تشفى به القلوب المريضة، ويحمي ذاكرة البشرية من الهلاك والارتباك والمهالك. ويدافع به الشرفاء عن الأوطان ضد القهر والفقر والجوع والدموع. هكذا كان يعتقد! في القاهرة اشتعلت معركة عنيفة ما بين تيار اليسار وتيار اليمين على خلفية تشكيل أول مجلس إدارة لإتحاد كتاب مصر(نقابة الآن). واحتد الخلاف ووصل إلى ساحات القضاء. هنا تدخل بعض العقلاء، وما أكثرهم في ذلك الزمان، واقترحوا عمل قسمة، وإن كانت لم تتم ما بين التيارين على مقاعد المجلس. وفي يوم الجمعة 9 يناير 1976 التقى صلاح عيسي مع سعد الدين وهبة قبل فتح باب الترشح. وقدم له قائمة

اليسار المقترحة لعضوية مجلس الإدارة والتي ضمت:"توفيق الحكيم، حسين فوزي، عبد القادر القط، سعد الدين وهبة، رجاء النقاش، فريدة النقاش، زكي عمر، فتحي العشري، علي سالم، فاروق خورشيد، فتحية العسال، عبدالله الطوخي، توفيق حنا، نوال السعداوي، محمود دياب، سليمان فياض، أحمد الشيخ، بهاء طاهر، صنع الله إبراهيم". القائمة بالطبع كانت لا تضم أسماء من اليسار فقط، لكن في اللعبة الانتخابية قد يتم ضم أسماء تكون على الأقل ضد الجبهة المناوئة لك. ويفهم من هذا السياق أن النخبة المصرية كانت تقدر وتدرك قيمة زكي عمر لدرجة أنها ترشحه لعضوية أول مجلس إدارة اتحاد كتاب في مصر، رغم علمها أنه مرفوض من السلطة في ذلك الوقت وربما يكون هذا كان بغرض دعمه في ظل الحصار الممنهج المفروض ضده وضد إبداعه. لكن لم يكتمل هذا الاتفاق ما بين اليمين واليسار، واحتكم الأمر في الساعات الأخيرة إلى الانتخابات التي فاز بأغلب مقاعدها تيار اليمين بقيادة الوزير يوسف السباعى. وكانت هذه آخر معركة لزكي عمر قبل أن يخمد سلاحه في قلبه ويغادر القاهرة بالسفر إلى اليمن الجنوبي. عن هذه المرحلة يقول: "عندما قررت الهجرة، أو عندما دفعت دفعًا لتعاطيها، كانت هربًا في الأساس من عدوية السياسي.. الذي هو الطابور الخامس داخل الحركة الوطنية. إن عدوية المطرب لم يأت من فراغ، وكذلك عدوية الشاعر، وعدوية الداعر. وباقي العدويات.. ولا شيء يأتي من فراغ، حتى الفراغ ذاته"!

*****

(مدينة دكرنس ـ 1977)

..وفى هذا الوقت تحركت خفافيش الظلام ضده لتعجل بقرار سفره أو طرده واستبعاده خارج الوطن نهائياً. ومع نهاية عام 1977 كان الرجل في طريقه إلى دولة اليمن الجنوبي قبل الوحدة مع اليمن الشمالي. قبل السفر ذهب إلى قريته وجلس بعض الوقت في حجرة أمه وحيدًا حزينًا حتى انتصف النهار، ثم خرج ولف شوارع القرية وحواريها، وكأنه يودعها وداعه الأخير قبل أن يتوجه إلى المقابر، وهناك جلس على قبر أمه يودعها ثم صعد إلى نخلة متوسطة الطول وقطع منها (طرف جريد) وزرعه ثم أمسك بحجر من الطوب الأحمر وكتب على قبرها:

"آخر كلام

أوصيكوا حين أموت

لا تنشروا اسمي، في صفحات اللي ماتوا

اكفوا على خبري مجور

وبهدوء، ادفنوني، وازرعوا شجرة كافور

*****

(المقطم – 2019)

أجلس ذات مساء، في أحد الكافيهات أنتظر ابنته د. أمل طبيبة نساء. بعد دقائق جاءت. قالت: كان أبي نموذجًا للقلب الطيب، والشهامة، والرجولة، وتركيبة المصري الأصيل، الذي يحب هذا الوطن وناسه وترابه. لقد سافر إلى اليمن لأنه شعر بالغربة في وطنه. الوطن الذي غني، وكتب، وبكى، وسجن من أجله. في اليمن الجنوبي أدركوا موهبته، فجعلوه يقوم بالإشراف على دار

نشر(الهمداني)، وذاع صيته في الأوساط الثقافية والسياسية والإعلامية هناك، وكان له برنامج أسبوعي في الإذاعة وآخر في التلفزيون. وعلمنا نحن بناته الثلاثة (أمل وانتصار وسنابل) على حب الوطن رغم غربتنا معه. وأمدنا بالثقافة، والعلم، والتربية الصحيحة والسليمة، وأعطانا الحرية في كل شيء، ووضع أقدامنا على الطريق الصحيح. وكانت أمي سنده في الحياة والغربة، وكثيرًا ما رأيت الحزن في عينيه بسبب بعده عن قريته التي عشقها منذ الصغر.

- "كان ليا حتة أرض..

واخدها مزارعه،

أعطيها العام،

تعطيني الزرعه

أعطيها العافية،

الصحة إن قالت هات

كات زوجتي، وليفتي،

وبيتي الواطي العالي

كانت هيا عيالي.. ومالي

ولحافي، رغيفي، ولحم كتافي

والحنه لقدمي الحافي"

تكمل (أمل) كلامها: "كان يحب الناس ويستمع إلى أوجاعهم، وحكاياتهم، ومعاناتهم. وكانت أشعاره، ومازالت، صوت الفلاح المصري حيث تعبر عن واقعه، ومعاناته، وآماله، وأحلامه، لأرضه، ووطنه". قلت لها

محاولاً استرجاع اللحظات الأخيرة في حياته.. سكتت بعض الوقت ولم تتكلم .. ثم بكت!!

*****

(عدن ـ 24 يوليو 1987)

عندما نعود إلى اليمن الجنوبية في تلك الأيام نجد أنه قد مات في ظروف مأساوية ودراماتيكية تدعوا للدهشة والاستغراب ولكنه القدر والقسمة والنصيب. الوفاة حدثت كالتالي: كان الرجل يجلس على شط البحر مع بناته(أمل، سنابل، انتصار) حسبما قالت لي أمل بعدما استرجعت ذهنها ورتبت أفكارها، وما بين لحظة وأخرى، رأها ـ أي أمل ـ وهي تصارع الموج للنجاة من الغرق، فقام مسرعًا نحوها، ومد يده إليها. تعلقت الفتاة بذراعه، ثم بكتفه، ثم بجسده. هو الآن يحملها بين يديه، ويسابق معها الموت الذي هو في طريقه إليهما. ينظر لرب الأرض والسماء. وهو يواجه بقوة، وإيمان، وصبر، الخوف، والموج، والماء..

"حبة لقتني باقب

- وباغطس

واشهق

زي ما أكون في البحر

- وح أغرق"

الوقت يمر. ولحظة بعد لحظة.. القدر يقترب، والموج يرتفع، والرياح تشتد، و أمل الابنة تبكي على ذراعه؛ فينظر إليها ليطمئنها حتى تتوقف عن البكاء؛ لكن أمل ومعها سنابل وانتصار منذ ذلك اليوم لم يتوقفن عن الحزن

والبكاء؛ كلما جاءت الذكرى، لأن هذه اللحظات التي عاشوها في ذلك اليوم الحزين؛ لا يمكن أن تُنسي أو تغادر الذاكرة. هذه اللحظات بالنسبة لهن هي لحظات الموج الغادر. هي لحظات الفجر الكاذب. هي لحظات الموت والحياة. هي اللحظات التي حاول فيها الأب إنقاذ ابنته ونجح في هذا. وهذه هي اللحظات التي حاول فيها إنقاذ نفسه، لكنه للأسف فشل في هذا، لينتهي صراعه المفاجئ، والمرير والعنيف مع موج البحر.. ينتهي في النهاية.. بالموت!

*****

كل الأشياء غرقانة

ف بحر التبريرات.

كل الأشياء مقتولة سُكات.

الكل مُوات.

الكل بلا استثناء.

خُد عندك مثلاً .

لا داعي لذكر الأسماء.. لا داعي للتشهير.. لنا أعداء!

لا داعي تُحاصرني من كل الجبهَات.

فلترحل فورًا لا داعي للإبطاء.

فبلاد الدنيا باتت منفي للشعراء.. وقبرًا للفقراء".

(مدينة المنصورة ـ بعد 11 سنة)

..وبعد مرور كل هذه الأعوام في الغربة، وبعد مرور ثلاثة أيام من الموت فى اليمن، عاد الجسد إلى مرقده الأخير، ليدفن في قريته كفر الأعجر. ولتبقي الروح بيننا ـ وستبقي بعدنا ـ تبحث عن انتصار العدل في يوم ما، واسترداد

الحق في زمن ما، وفي بلد ما، من بلاد الدنيا، لا تكون منفى للشعراء، ولا قبرًا للفقراء. وبموته المفاجئ اعتقد الجناة أن الجريمة دفنت بجواره، وأن كلمات مدد.. ليس لها أب شرعي يحميها ويغنيها بمشاعره الصادقة. هذا الاعتقاد تعرقل وتحطم أمام معرفتي بتلك الجريمة المؤلمة، والصادمة، فقررت كشفها وتقديمها للوسط الثقافى والرأى العام والدفاع والثبات ـ قدر المستطاع ـ بجوار الحق مرتكزاً على الوثائق والشهادات والمستندات. وإن كنت لست أول من تحدث عن هذا الحق ـ وهذا حقيقة يجب الاعتراف بها ـ بل هناك العديد من الشرفاء سبقوني في كشفها، وقولها، والجهر بها؛ إلا إنني ربما أكون أول من قرر المواجهة وأصر ـ ومازال يصُر ـ عليها؛ لإيماني بعدالة القضية، وبموهبة صاحبها، وقناعتي التي لا تقبل الشك، بأن زكي عمر لا يقل موهبة عن الأبنودي وسيد حجاب وأحمد فؤاد نجم. وأنه ظُلم، واعُتقل، وطُرد خارج مصر التي يحبها إلى حد العشق. وبعد طرحي لهذه الجريمة على الساحة الثقافية والإعلامية، وقف معها يساندها (أي مع قضية زكي عمر وحقه) العديد من شرفاء النخبة المصرية، وأعلنوا موقفهم، وكتبوا ووثقوا شهاداتهم، لتكون بجوار الشهادات والكتابات النقدية الموثقة والمثبتة والمنشورة بالصحف والمجلات المصرية القومية(صحف الدولة الرسمية) والمحفوظة في أرشيف تلك الصحف وفي دار الكتب والوثائق القومية، دليلاً دامغاً على حق زكي عمر الذي سُرق ونُهب كل هذه السنوات. ومن هذه الشهادات الحية والتي تجاوبت مع الحدث نجد منذ البداية الدكتور يسري العزب يدلي بشهاداته قبل رحيله قائلاً:" نحن أمام شاعر، أخلص للشعر وللانسانية معًا، فلم ينافق أو يهادن أو يكذب على الناس أو باع شرف الكلمة. ولقد استبعدوه، وتمنوا موته،

لأنه كان صادقًا وهم كاذبون، موهوبًا وهم أنصاف مواهب. كان صوت الحقيقة وهم صوت النفاق. وعندما بدأوا يتحكمون في المنابر الصحافية والثقافية في ذلك الوقت، حتى لا يظهر إبداعه؛ ضيقوا عليه التواجد والنشر والعمل، فقرر ترك الوطن مجبرًا، لا مخيرًا". ثم يؤكد الدكتور يسري العزب:" وزكي عمر ـ باليقين ـ هو صاحب كلمات مدد..مدد.. وسُرقت منه وفشل في إثبات حقه فيها ثم مات". ونجد أمامنا شهادة قاطعة، كافية، لأنها من شاهد عيان كان مسؤولاً عن النشاط الثقافي في مدينة المنصورة خلال تلك الفترة.. هو محمود عوضين وكيل وزارة الثقافة الأسبق الذي كتب شهادته في الصحف وسجلها صوتاً وصورة، والتي يقول فيها:"لقد عاصرت زكي عمر منذ التحاقي بقصر ثقافة المنصورة أخصائيًا ثقافيًا في مايو 1967 ثم بعد ذلك مديرًا لقصر ثقافة المنصورة ومديرًا للثقافة الجماهيرية في محافظة الدقهلية منذ أغسطس 1970 وحتي انتقالى للإسكندرية في عام 1974. وشهدت ـ بحكم وظيفتي ـ مولد القصيدة عام 1968 للشاعر زكي عمر وكنت مصاحبًا له وهو ينشدها في ريف المنصورة وفي بعض خطوط الجبهة الخلفية وفي بعض الجامعات ضمن القوافل الثقافية التي كنا نقوم بها، وعلى مسرح المنصورة وهي كلمات الشاعر الراحل زكي عمر وسُرقت منه ونُسبت بالظلم والبهتان للشاعر إبراهيم رضوان.وهذه شهادتي أمام الله للحق والحقيقة. ومستعد أن أدلى بشهادتي أمام أي جهات تحقيق أو فى المحاكم المختصة". أما الشاعر زين العابدين فؤاد، أحد الشعراء الكبار الذين انطلقت أشعارهم في تلك المرحلة لدعم النصر ومواجهة الهزيمة، فقال: "طبعًا، كلمات " مدد مدد.. شيدي حيلك يا بلد" صاحبها الشاعر زكي عمر ولا أحد آخر، وكان يهتف بها معنا

في الجامعات سنوات حرب الاستنزاف"! ويؤكد على نفس الشهادة ابن مدينة المنصورة السياسي القديرعبدالغفار شكر نائب رئيس المجلس القومي لحقوق الأنسان المصري. قائلاً: "نحن كنا في نهايات عام 1972 عندما كان يصعد الشاعر زكي عمر على مسرح أوبرا المنصورة. وعلى هذا المسرح شاهدت بعيني زكي عمر وهو يلقي قصيدته تلك.. وكانت الجماهير تهتف خلفه. وكان الراحل محمد نوح – في البداية – لا ينكر حقه الأدبي والمادي فيها. ثم حدث فيما أظن بينهما خلاف، وهذا الخلاف كان بداية افتراقهما عن العمل معًا. أما السياسي أحمد بهاء الدين شعبان رئيس حزب الإشتراكى المصري. فيقول:"تعود معرفتي بهذه القصيدة إلى أقل قليلاً من نصف قرن من الزمان، أي إلى سنوات النصف الأول من عقد السبعينيات، عندما تفجَّرت الحركة الطُلابية في الجامعات المصرية، للمطالبة بخوض الحرب ضد العدو الصهيوني. وكان من ضمن مَن ترددوا على الجامعة، وعلى كلية الهندسة التي كنت طالبًا بها آنذاك، الفنان محمد نوح، الذي كان يلهب حماس الطلاب بصوته الرخيم، وهو يغنى كلمات قصيدة يقدمها دائمًا كدُرّة من دُرر إبداعات الشاعر زكي عمر، والذي يردد فيها مقطع (مدد مدد شدي حيلك يا بلد، إن كان في أرضك مات شهيد فيه ألف غيره بيتولد) التي كان لها وقع السحر في نفوس الشباب الرافض للهزيمة والمتعطش للثأر، وكانت الفقرات الغنائية تتخللها قراءات شعرية للشاعر زكي عمر وآخرين". ويقول الروائي الكبير إبراهيم عبد المجيد: "لقد عاش زكي عمر مظلومًا.. ومات مظلومًا.. وهذه حقيقة يعلمها كل جيل الستينيات.. وهو شاعر موهوب ووطني مخلص لقضايا أمته". أما الكاتب والإعلامي محمد الشبه فهو يشهد هنا على ما رآه وعاشه قائلاً:"عندما

جاء الشاعر الراحل زكي عمر للقاهرة، حيث كان على موعد مع زميله الفنان محمد نوح، لم يجد إلا بيتي بجوار جامعة القاهرة في منطقة بين السرايات – لأنه صديقي وبلدياتي – لينام ليلته فيه. وفي الصباح اصطحبته إلى مدرجات كلية آداب القاهرة حيث انضم لنا الفنان محمد نوح وكان يرتدي بدلة جينز ووقف معًا يهتفان وسط الطلبة بكلمات: مدد.. شدي حيلك يا بلد. وكان معهما شاعر المنصورة الجميل محمد يوسف ويؤكد الروائي الكبير الدكتور محمد المخزنجي على موهبة زكي عمر قائلاً: "كان صديقي رغم أنه يكبرني في السن، فهو إنسان أكثر من رائع ومعجون بالموهبة والفن، تتجسد فيه جميع الخصال الإنسانية الرائعة، والذي أجزم به أنه من المستحيل أن ينسب لنفسه شيئاً ليس له حق فيه؛ فهو إنسان بطبعه نبيل، وصادق، وأمين". أما الشاعر محمد الشربيني فيرد على من يسأل: لماذا سكت الشهود طيلة هذه السنوات قائلاً: "ومن قال إنهم سكتوا، كلهم لم يتركوا منتدى أو لقاء أدبيًا خاصًا أوعامًا يرد فيه ذكْر الأغنية أو اسم الشاعر زكي عمر إلا اتهموا الشاعر إبراهيم رضوان علانية وفي حضوره بادعاء الأغنية، ونالهم الكثير من الأذى اللفظي. ونحن بدورنا نسأل سؤالاً وجيهًا لماذا لم يظهر الشاعر إبراهيم رضوان في ذلك الوقت مدافعًا عن حقه وأغنيته ومهاجمًا الشاعر زكي عمر وطالبًا رفع اسمه عن إعلان المسرحية و الأغنية... والحق أن الشاعر إبراهيم رضوان لم يستطع الظهور أو مواجهة زكي عمر قبل ارتحاله إلى اليمن ولا حتى اليوم مع أنه الطرف الأصيل المدَّعى عليه. ببساطة لأنه يدرك يقينًا أن الأغنية من بنات أفكار الشاعر زكي عمر". أما الروائي علي عطا فقال: "تحية لكل جهد مخلص في سبيل رد الاعتبار لصاحب (مدد.. شدي حيلك يا بلد)، الشاعر زكي عمر، وفضح الذين سلبوه

حقوقه حيًا وميتًا". وبنفس الدعم أعلنت الكاتبة الدكتورة فاطمة سيد أحمد رئيس تحرير صحيفة روزاليوسف الأسبق وعضو الهيئة الوطنية للصحافة موقفها قائلة:"فى النهاية الحكم لله (ولا يصح إلا الصحيح)، فعندما يكون الحرامي ترزي كلمات، فمن الطبيعي أن يغير كلمات على نفس السجع.. بالأساس هو كونه أخذ مطلع أغنية (مدد.. شيدي حيلك يا بلد) نفسه (يبقى) حرامي! وأشار الكاتب عمر طاهر قائلاً: "الشاعر زكي عمر.. حقوقه مهدورة". وقال الدكتور فتحي عبد الرحمن الخميسي: "ما حدث في حق الشاعر زكي عمر جريمة مكتملة الأركان.. وأن كلمات مدد.. مدد.. هي إبداعه الشعري الذي لا يقل عن إبداعاته الأخرى". وتساءلت الدكتورة كريمة الحفناوي قائلة: "ونحن في الجامعة استمعنا وعشنا مع نضال زكي عمر فى السبعينيات وهو يهتف بكلمات مدد مدد.. فكيف تسرق منه هكذا"؟ وكتب محمد عبد الواحد فى صحيفة الأخبار: "زكي عمر.. يشدو بكلمات مدد.. من قبره"! وكتب مصطفي زكي فى صحيفة الرأى:"انطلقت مدد.. مدد.. من شاعرها في أعقاب 67 لتستنهض أرواحًا ثكلى لملايين توارت خلف إحباطات الانكسار". ويتعجب الشاعر يحيي بدير قائلاً:"أنا لا أتخيل أن مجرد خلاف بين نوح وزكي يجعل الأول يذبح الثاني بهذا الشكل المؤلم". وقالت الكاتبة سها زكي:"أن نقوم بإنصاف شاعر مهدور حقه طوال هذه السنوات فهو رسالة لكل مبدع حقيقي". وكتب الشاعر عمرو الشيخ: "المؤسف أن السارق جاءته فرصة ليتطهر بعد نصف قرن ولو باعتذار صوري لكنه أبي إلا أن يظل في مستنقعه. وقال الناقد أحمد سراج:"هذه الواقعة تتسق مع ما قاله أحمد بهاء الدين في كتابه (أيام لها تاريخ)".

أما الكاتب إبراهيم جادالله فيقول:"عرفت الشاعر زكي عمر عام 1968 أثناء تجهيز الشباب للمساعدة فى المحهود الحربي لإزالة آثار العدوان، وكان معه مجموعة من الأصدقاء يغنون كلمات مدد.. مدد. وعرفت منهم إنها كلماته وأذكر اننى امسكت بورقة وقلم رصاص وكتبتها من على لسانه هو نفسه، عندما كان يهتف بها أمامنا، لكن للأسف لم احتفظ بها حتى اليوم". وقال الكاتب أشرف عبد الشافى:"تحية لكل كاتب بحث عن الحق الضائع وأعاده لصاحبه"! وكتب مصطفى عبيد فى صحيفة الوفد: "رد الاعتبار للشاعر زكي عمر لا يقتصر على إثبات حقه في كلمات مدد، تلك الكلمات التي بدلها وغناها غيره، بل يمتد إلى ضرورة الاهتمام بكل إبداعه الشعري"! أما الكاتب الصحفى حمدي حمادة مدير تحرير صحيفة الوفد الأسبق فيتساءل:"الآن.. هل الشاعر الفاقد أصلاً للمشاعر يستحق أن يكون شاعرًا ويكون محسوبًا على الشعراء الأصلاء والنبلاء؟ والآن هل تنتبه أجهزة وزارة الثقافه حتى لا يكون السارق إبراهيم رضوان محسوبًا عليها فلا تتم دعوته أو يستضاف في أى لقاء أو منتدى وتسارع وتنشر بيانًا تحذيريًا بعدم تعامل أى جهة معه"؟ أما القاص فتحي إسماعيل فقال: "هذه سرقة واضحة، وكاشفة، ومحزنة، ومؤلمة لكل مشاعر الشعراء والأدباء، لانها تعبر عما وصلنا إليه من تخريب وتدمير للثقافة المصرية". أما الشاعر أشرف الشافعي فقال: "مدد .. مدد شدي حيلك يابلد. .هي من تأليف الشاعر زكي عمر وكانت ضمن أشعار مسرحية بنفس الاسم كتب الراحل أغانيها. ونُسبت الأغنية بعد نصر أكتوبر وقبل كامب ديفيد إلى الشاعر إبراهيم رضوان بقصد من محمد نوح بعد خلاف مع زكي عمر الذي رفض غناءها في الملاهي الليلية، وتم سرقة الأغنية

ومقدمتها كاملة وتم التعديل على متنها بمعرفة كل من محمد نوح وإبراهيم رضوان بعد ذلك لتنتشر منسوبة لهما دون ذكر زكي عمر". وإلى حقيقة أخرى يأخذنا الكاتب طارق فهمي حسين قائلاً: "في ظني أن الذي يُصرّ على إنكار الحقيقة بعد كُل هذه الأدلة وكُل هؤلاء الشهود لابُد وأنه مُعتاد سرقات أدبية وليست هذه سرقته الوحيدة".(الذى يدلل على كلام طارق فهمى فيما يخص الشاعر إبراهيم رضوان، هو اننى كنت استمع لأغنية ـ أو أوبريت غنائى ـ يحمل اسمه، تغنيه المجموعة منى عبد الغني ومدحت صالح ومحمد الحلو ونادية مصطفي وألحان محمد قابيل. تقول كلماته: يا جريد النخل العالى (ميل) وأرمي السلام. وبالصدفة وجدت نفس الكلمات مع تغيير بسيط فى مطلعها ـ قام به الشاعر إبراهيم رضوان ـ قد جاءت فى فيلم "الحرام" إنتاج 1965 عن قصة يوسف إدريس وبطولة فاتن حمامة وإخراج هنري بركات حيث يغنى الأطفال فى مشهد زفة العروسة (يا جريد النخل العالى (طاطي) وأرمي السلام) وفى حفلة للريس متقال فى باريس يغنى (يا جريد النخل العالى (ميل) وارمي السلام) هذا معناه أنها كلمات من التراث الغنائي (الفلكلور) وهذا أمر له دلالته فى قضيتنا التى نتحدث عنها! أما المسرحي عادل عبد الباقي ـ من واقع الفترة التي عاصر وشارك فيها فرقة المنصورة المسرحية ـ يقول: "كانت أغنية (مدد .. مدد. شدي حيلك يا بلد) عنصرًا رئيسيًا في تنقلات مجموعة اليسار المسرحية في المنصورة عام 68 في تجولنا في القرى لرفع الروح المعنوية بعد نكسة 67 وكنت شاهدًا عليها عندما كنا نتجول بها في قرى الدقهلية وأندية الشباب ومحطات السكة الحديد ومواقف السيارات لنهتف مع زكي عمر صاحب الأغنية والمسرحية أمام الجماهير". وبدهشة يتساءل الإعلامي

هيثم الغتياري عن هذه السرقة قائلاً: "المدهش بالنسبة لي في واقعة سرقة أغنية "مدد" هو موقف محمد نوح؛ فضلاً عن تجرؤ إبراهيم رضوان بهذا الشكل العجيب". أما الشاعر عبد الحميد القداح ابن مدينة المنصورة فينقل لنا صرخة زكي عمر التي سمعها منه قبل رحيله. قائلاً: "في جلسة مع زكي عمر رحمه الله ذكر لي أن الأغنية من تأليفه.. وكان يطارد محمد نوح في كل مكان يغنيها فيه". وعندما نذهب إلى الشاعر سعد عبد الرحمن رئيس مجلس إدارة الهيئة العامة لقصور الثقافة المصرية الأسبق نجده قد طاله أذى اللصوص عندما أشهر في وجههم الحقيقة، وقال للص في (عينه) أنت لص، فرد اللص بكل جرأة ووقاحة وتطاول وهجوم منحط،عليه كما يوضح هذا لنا قائلاً: "هذه الجريمة حاول اللص عديم الضمير، وسليط اللسان، التعتيم عليها لسنوات طويلة، وكان كالكلب العقور يهاجم كل من يحاول حتى مجرد الإشارة إليها. وأنا أحد من هاجمهم الكلب العقور لأنني أشرت إلى تلك الحقيقة ذات يوم".

ومن الجنوب يأتينا صوت النائب البرلماني السابق أنس دنقل شقيق الشاعر الكبير أمل دنقل. قائلاً: "كنا في بداية الإجازة الصيفية عام 1971 ..عندما ذهبت ذات مساء لمقهى سوق الحميدية بباب اللوق.. لمقابلة أخي الشاعر أمل دنقل.. سمعت أصوات موسيقى وغناء بالطابق العلوي للمقهى.. ذهب صديق لى كان معي للاستطلاع.. وعاد وأخبرني أنه الممثل والمطرب محمد نوح.. يومها لم أكن أعرف من هو محمد نوح.. لكن لفتت نظري وتذكرت كلمات الأغنية أثناء إلقائها: مدد مدد شدي حيلك يا بلد. وكنت قرأتها من قبل هي وقصيدة أخرى له عن جني القطن لشاعر أطلق عليه شاعر الفلاحين زكي عمر". ويؤكد الشاعر سمير الأمير على حقيقة أن (مدد) هى من إبداع

زكي عمر، وهذه حقيقة لا خلاف عليها في يقين كل شاعر حقيقي قرأ شعره وإنتاجه الإبداعي ومن خلال دواوينه التي أصدرها قبل رحيله فهي حسه، ولونه، وقالبه الشعري". ويتساءل الكاتب محمد خليفة مدير تحرير صحيفة الوفد قائلاً:"كيف بعد كل هذه الأدلة والبراهين والوقائع نجد من يدافع عن الجاني ولا نجد من يدافع عن المجنى عليه..كيف هذا"؟

ويؤكد الناقد السينمائي الكبير كمال رمزي قائلاً:

" كان صديقي زكي عمر فنان بطبعه ومعجون بالإبداع وقضينا سويا في كفر الأعجر 48 ساعة فقط، كانت من أجمل لحظات حياتي، لأكتشف روح شفافة تعيش الشعر وتضحك وتبكي شعراً" .

(13)

راح تبكى ليه يا تري؟
ع الحظ والمقسوم
دا كل شئ انكتب
ولكل ظالم يوم
حتلاقي مين يسمعك
لو قلت ميت مظلوم

(ندابة مصرية ـ من جنازة فى قرية)

(القاهرة ـ 2020)

كان هذا بعضاً من فيض الشهادات التي انطلقت تعلن قولها الواضح، والصريح في الوقت الذي لم نجد فيه قصاصة ورق صحفية واحدة تحمل اسم إبراهيم رضوان سوى تصريحات الفنان محمد نوح نفسه الذي حاول بها إخفاء الجريمة التي من المؤكد إنها لم تتم من خلف ظهره. ومن المؤكد ـ طبقا لكل الوقائع والشهادات والوثائق ـ انه كان يعرف مكان القتل، وطريقة القتل، وموعد القتل. وهوية القاتل والقتيل! وأنه ـ وبتسلسل الأحداث وسير مجراها ـ كان يعرف أن إبراهيم رضوان هو الأداة التي نفذت عملية القتل! أما عن الدلائل الأخرى على تلك الجريمة، فإننا سنجدها في تصريحات الفنان محمد نوح نفسه، واختلاف رواياته المتعددة عن الكلمات، وكيف عرفها. ومحاولة إنكاره وتجهيله للشاعر زكي عمر ضمن خطة الإخفاء التي اتبعت في هذه

القضية. وكذلك سنكتشف التلفيق والاختلاف في تصريحات شقيقه حسين نوح والشاعر إبراهيم رضوان والتي تضاربت مع أقوال محمد نوح نفسه. والسطور التالية ستكشف دلائل أخرى جازمة، وحاسمة، وقاطعة لأنها من أصحاب الشأن أنفسهم.

*****

(التسجيل الأول ـ الفنان محمد نوح)

يظهر فيه الفنان محمد نوح متحدثًا عن الأغنية ـ مظهره يدل على أنه تم تسجل هذا اللقاء فى منتصف السبعينيات تقريباً ـ وفيه سنجد اختلافات جوهرية عن بداية معرفته بالأغنية وارتباطه بها، وسنجده في الفيديو الثاني ـ مظهره يدل على أنه سُجل فى نهاية الثمانينيات ـ يقول رواية أخري مختلفة (لاحظ إن زكي عمر في ذلك الوقت كان مازال مطرودًا خارج الوطن ولا يملك من أمر الرد على هذه السرقة أي شيء في ظل التعتيم الإعلامي والمطاردة السياسية والأمنية له.. في اللقاء الأول المُسجل للتليفزيون المصري .. يدور الحديث مع الفنان محمد نوح كالتالى:

الفيديو الأول:

المذيع: أستاذ محمد نوح.. أغنية مدد.. مدد دى سمعناها في مراحل مختلفة وتبلورت في ثلاث مراحل.. عايز أعرف منك المراحل اللى اتعدلت فيها أغنية مدد.. والتغير اللي حصل في كل مرحلة.

نوح: "مدد.. اتعملت.. آآآ.. شفت كلامها سنة 68 ومرضتش ألحنها على اعتبار إنني كنت زعلان.. كلنا زعلانين"!

المذيع: آه .. بعد النكسة.. آه

نوح: "آه بعد النكسة .. آه"

نوح : "كنت بشوف أصدقائي الفنانين مش على مستوى الأغاني بس. على المستوى حتى الفنون التشكيلية كانوا دايمًا زعلانين، يعني ملينين بالحزن كدا مجليش... وبعدين في يوم من الأيام أنا حسيت أنا لازم أنور شمعة. أنور شمعة في الضلام اللي احنا كنا عايشين فيه. قلت يعنى مش معقول من معركة عسكرية ممكن بلد زي مصر عمرها كبير قوي تموت. فبص في الكلام ده تاني وقعدت على البيانو وكده وحطيت إيدي كده راح طالع اللحن فجأة آآآآ رحت مغنيه. كانوا حوليه مجموعة من الناس فلقيتهم يعني اتأثروا بيها جدًا. وبدأت أغنيها مع فرقة النهار في الحفلات في الفترة من 68 و 69 و 70 و 71 ومكنش حد بيحس بيها. يعني يصقفوا معايا شوية حاجه كده. محدش بيحس بيها . وفى يوم آآآآآ اتصلت بيه مدام سميحة أيوب وكانت مديرة للمسرح الحديث وأنا كنت عضو في المسرح الحديث. وقالوا الحرب قامت. واحنا فى الحرب لازم نشارك".

المذيع: ده بعد 73

نوح: "بعد 73 "

المذيع: اه

نوح:"آه.. أنا قلت لهم محدش عايز يمثل.. مين فينا بقي هيمثل. أنا عندي أغاني وعندي فرقة ويله نعمل برجرام كده. جبت غنوة مدد.. اللي كان كاتبها إبراهيم رضوان..(فى التسجيل الثاني سيقول أنه التقى مع الشاعر إبراهيم رضوان عام 70 فى الحسين).. ويكمل الفنان محمد نوح قائلاً: "وجابوا همه في المسرح شاعر(لاحظ محاولة التجهيل باسم زكي عمر كتب

قصيدة شعر تتقال من الممثلين (لاحظ إن الممثلين في العرض المسرحى غنوا أصلاً.. مدد .. مدد شدي حيلك يا بلد). يكمل قائلاً: وأنا أغني غنوة (مدد) فى المسرحية!

تعليق للتوضيح:

هنا الفنان محمد نوح يقول بنفسه أنه غني الأغنية أعوام 68 و69 و 70و 71 وإن السيدة سميحة أيوب هي التي اتصلت به! انتهى التوضيح والتأكيد على كلامه هنا. ولنذهب إلى التسجيل التالى.

*****

(التسجيل الثاني ـ منتصف الثمانينيات)

في هذا الفيديو للفنان محمد نوح يظهر فيه وقد تقدم به العمر ومن الواضح أنه سُجل داخل أستديو لتسجيل الأغاني. يدور الحوار معه كالتالى:

المذيع..... ؟

نوح:" رحت عامل احميني.. احميني (لاحظ إنها كلمات الشاعر زكي عمر الذي حاول في الفيديو الأول تجاهله وكأنه لا يعرفه) يكمل: "من ليل الغربة.. ردينى.. ضميني.. ضميني.. ودفيني.. نجحت. رحت عامل مدد.. مدد.. شدي حيلك يا بلدي". (يقول ذلك بالغناء) يكمل:" شاعر من المنصورة.. قاعد أنا في الحسين. اسمه إبراهيم رضوان جه معاه ورقة سجاير، ورقة قديمة كده كرتونه.. بيقول: مدد.. مدد.. شيدي حيلك يا بلد.. السندباد لف البلاد. قلت له ده حلو. انت اسمك ايه؟ قالى إبراهيم رضوان. رحت عامل" ـ (يقول هذا بالغناء) ـ "مدد.. مدد شدي حيلك يا بلد.. إن كان في أرضك راح شهيد فيه ألف غيره بيتولد.. مدد.. مدد".

تعليق وتوضيح:

كلام الفنان محمد نوح هنا يعني أن الذي كتب كلمات الأغنية هو نفسه، وليس الشاعر إبراهيم رضوان!! إذن ـ والأمر كذلك ـ لماذا تم وضع اسم الشاعر إبراهيم رضوان على كلمات الأغنية طالما أن الذى كتبها هو محمد نوح حسب نص كلامه فى التسجيل المشار إليه آنفاً؟ وهذه الرواية تختلف كثيراً عن الرواية الأولى.. انتهي التعليق.

يكمل الفنان محمد نوح كلامه:

"بنسهر بقي في الحسين والدنيا ضلمه والنكسة وبتاع والشعب كله بقي معايا. بس الحكومة لأ. طلع انني مش فاهم. أنا بقول مدد.. وفي وقتها احنا عايزين نبني بقي ونهدي تاني".

المذيع : نهدا

نوح: " ومحدش قاللي خف. بقت الحكومة زعلانه والشعب فرحان. وفي الأفراح .. وفي أي حتة بقيت أغني مدد. بس الناس المسئولين زعلانين.. ليه أنا بسخن في وقت همه عايزين يهدوا.. بس محدش قاللي"!

تعليق وتوضيح:

الوقائع والأحداث والتواريخ هنا مختلفة كثيراً، عما قيل في التسجيل الأول. وهذا عكس كلامه الذي قال فيه أنه كان يغنيها منذ أعوام 67 و 68 و 69. فهل كلامه هنا يعني أن الحكومة ـ يقصد النظام ـ كانت ترفض غناء الأغنية بعد هزيمة 67 لأسباب سياسية؟ بالطبع لا! بدليل اعترافه هو نفسه إنه كان يغنيها منذ 68! (انتهى التعليق وانتهى التوضيح!)

*****

التسجيل الثالث:

(برنامج ـ 90 دقيقة ـ 2020)

يتحدث فى البرنامج الشاعر إبراهيم رضوان إلى د. محمد الباز. قائلاً: "الأغنية دي كُتبت أيام النكسة والتقيت مع محمد نوح وقابلت عبد العزيز الشوربجي نقيب الصحفيين وعملها في "صوان" واخدت عليها عشرة جنيهات. و90 ٪ من أغاني نوح أنا اللي عملتها. وكتبت مدد.. سنة 67 واتحقق معايا في سجن القلعة.. والتقيت مع محمد نوح سنة 70 ". (لاحظ هنا إن الفنان محمد نوح نفسه قال إنه غنى الأغنية بداية من عام 1968 فكيف إذن لم يلتقه الشاعر إبراهيم رضوان إلا في عام 1970؟ يكمل الشاعر إبراهيم رضوان قائلاً:" والفنانة سميحة أيوب قالت لعبد الغفارعودة فيه غنوة لنوح اسمها (مدد.. مدد) كاتبها إبراهيم رضوان.. وكتب معنا في المسرحية سيد حجاب"!

تعليق وتوضيح:

كل المعلومات التي ذكرها الشاعر إبراهيم رضوان تختلف شكلاً ومضمونًا مع كلام الفنان محمد نوح في التسجلين المشار إليهما آنفًا! ومع تصريحات الفنانة سميحة أيوب فى الصحف الصادرة عند عرض المسرحية عام 1973 ناهيك عن أنه لا يوجد في تاريخ نقابة الصحفيين نقيب يحمل اسم عبدالعزيز الشوربجي منذ تأسيسها عام 1941 ! ـ وأنا عضو فى النقابة ـ فمن إذن الذى أقام له(الصوان) ومن إذن الذى أعطاها الـ 10 جنيه؟!

*****

التسجيل الرابع:

(برنامج ـ 90 دقيقة ـ 2020)

يظهر فيه الأستاذ حسين نوح شقيق الفنان محمد نوح قائلاً: "السيدة الفاضلة سميحة أيوب أما قامت سنة 73 استعجلت لعمل عمل.. جابت عبد الغفار عودة وقالت له: نوح بيغني أغنية (مدد.. مدد) وناجحة جدًا .. نعمل مسرحية. أما قالوا كده.. جاب نوح بالفرقة. وغنى "احميني" لعبد الرحمن الأبنودي في المسرحية وزكي عمر كان بيعمل بأشعاره لانكات.

تعليق وتوضيح:

كل هذا الكلام مختلف جملة وتفصيلاً عما ذكره الفنان محمد نوح نفسه في التسجلين المشار إليهما سابقًا. ناهيك عن أن أغنية "احميني" من تأليف الشاعر زكي عمر وكتبت في عام 1972 وغناها محمد نوح منذ هذا الوقت واسم زكي عمر على الألبوم الذي أنتجته شركة صوت الحب حتى الآن. ومنشورة فى ديوانه "قصائد الحب والمطاردة" طبعة 1979 ولم يتقاض عنها أي حقوق مالية منذ غناها محمد نوح وحتى اليوم ولم يوقع على بيعها، ولكي يتم التعتيم على ذلك يتم نسبها الآن للشاعر عبد الرحمن الأبنودي. وهذا تضليل وتلفيق تكشفه وتكذبه الأدلة والوثائق التي تحت أيدينا. والتى نقدمها للقارئ فى نهاية فصول الكتاب ضمن الوثائق والمستندات والصور.

(14)

"قال العيلة في الترحيلة
ما تصدقوش..
أن مت موتة ربنا
متصدقوش"

(القاهرة – 2020)

ورغم كل هذه الأدلة والبراهين والشهادات والوقائع والمستندات والتسجيلات البصرية (صوتاً وصورة) فإن أسرة الفنان محمد نوح ومعها الشاعر إبراهيم رضوان مازالا يحاولان النفي والإنكار والإصرارعلى إخفاء الجريمة التي حدثت منتصف السبعينيات عندما استغل الجاني استبعاد وهجرة زكي عمر داخل وخارج الوطن، وقام (أي الجاني) بتسجيل الأغنية بِاسم الشاعر إبرهيم رضوان فى جمعية المؤلفين والملحنين لتقتسم أسرة محمد نوح وإبراهيم رضوان منذ ذلك اليوم العائدين الأدبي والمادي. وإن كان السارق قد اعتقد أنه بفعلته تلك، نجح وهرب، واستطاع ـ ويستطيع ـ إخفاء الجريمة تحت غطاء الكذب.. كل هذه السنوات، فهذا اعتقاد خائب، وبائس، ويائس، لأن حقائق الأشياء تؤكد أنك قد تستطيع الكذب بعض الوقت، وتستطيع الخداع بعض الوقت، وتستطيع الإخفاء والدهاء بعض الوقت، لكنك لن تستطيع الكذب، والخداع، والإخفاء طيلة الوقت. ولقد جاء الوقت الذي

خرجت فيه روح الشاعر زكي عمر من مرقدها لتقول للقتلة واللصوص والجناة:

الكلمة الصادقة لا تموت؛ لأنها تعيش بصدقها.
والمبدع الحقيقي لايموت، لأنه يعيش بإبداعه
والوطني الحقيقي لا يموت؛ لأنه يعيش بوطنيته
والإنسان الحقيقي لا يموت، لأنه يعيش بإنسانيته

وفي الختام .. يرسل لكم زكي عمر رسالة قصيرة يقول فيها:

فخور أنا بالشعر..
فالشعر الصادق، الأمين، تتحول حروفه من "قبور" إلى "زهور"..
والشعر الكاذب، المهين، تتحول حروفه من "زهور" إلى "قبور"
فاجعلوا حروفكم بالصدق زهورًا.. ولا تجعلوها قبورًا.

(15)

وفى نهاية الرحلة.. مات زكي عمر (الإنسان).. مات كما ماتت أمه "ناقص" عُمر!

أما زكي عمر (الشاعر) فهو يعيش وسوف ـ يعيش ـ في ذاكرة الوطن "ألف" عُمر.

(تم.. بحمد الله)

الشعر المصاحب للكتابة من دواوين الشاعر زكي عمر:

ديوان "كلام عن الأدهم" طبعة 1969

ديوان "الحلم في عز الضهر" 1971

"طلوع الروح" مسرحية شعرية 1977

"قصائد الحب والمطاردة" عدن 1979

"إلى من يهمه الأمر" 1981

"حكاية عبد الفتاح الجندي والولد زاكي" 1982

** موال أدهم الشرقاوي من كلمات: محمود إسماعيل جاد

*****

الكتب والمصادر والمراجع:

** مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، الصادر 1938 طبعة هيئة قصور الثقافة 2019

** فاروق الأول وعرش مصر، لطيفة محمد سالم، طبعة دار الشروق 2004

** رواية الحرافيش، نجيب محفوظ، الصادر ة 1977 طبعة دار الشروق 2006

** حرب أكتوبر دراسة ودروس، للفريق أول محمد فوزي وزير الحربية المصري الأسبق. الصادر في عام 1988 طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. طبعة مكتبة الأسرة 2015

** فاروق ملكًا، أحمد بهاء الدين، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة مكتبة الأسرة 1999

** محاوراتي مع السادات، أحمد بهاء الدين، الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة مكتبة الأسرة 2013

** الوعي المفقود، محمد عودة، طبعة القاهرة للثقافة العربية 1975

** فلسفة الثورة للرئيس جمال عبدالناصر .

** وقفة قبل المنحدر ـ علاء الديب ـ الصادر 1995 طبعة الشروق 2008

**.. وتحطمت الأسطورة عند الظهر، أحمد بهاء الدين، طبعة دار الهلال 1973

** وعليكم السلام، محمود عوض، طبعة دار المستقبل 1986

** كتاب اليوم السابع الحرب المستحيلة، محمود عوض، طبعة دار المعارف 2010

** المثقفون والسلطة في مصر د.غالى شكري الصادر في 1991 طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة 2017

** مثقفون وعسكر، صلاح عيسى، الصادر 1986 مكتبة مدبولي.

** شاعر تكدير الرأي العام الملفات القضائية للشاعر أحمد فؤاد نجم. صلاح عيسي دراسة ووثائق.

** مذكرات صلاح نصر، العام الحزين طبعة 1999 دار الخيا ل.

** مذكرات الفريق سعد الشاذلى الصادرة 1980. الطبعة العربية

** مذكرات المشير محمد عبد الغني الجمسي (مذكرات الجمسي .. حرب أكتوبر) (طبعة الهيئة العامة الكتاب ـ 1998)

** من الشاطئ الآخر . كتابات طه حسين الفرنسية. المركز القومي للترجمة ـ الطبعة الثانية ـ 2019

** مذكرات حسن أبو باشا في الأمن والسياسة الصادر 1990 طبعة دار الهلال

** الناس في السجن تأليف: هـ. كلير. ترجمة زينب موسي. الصادر 1985 طبعة دار المعارف.

** جمال حماد أسرار ثورة 23 يوليو الصادر 2010 طبعة دار العلوم للنشر والتوزيع.

** "النقراشي" هدى شامل النقراشي الصادر 2007 طبعة دار الشروق.

** انقلاب السادات، عبدالله إمام 2000 طبعة دار الخيال.

** أوراق شخصية د. لطيفة الزيات. حملة تفتيش الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة مكتبة الأسرة 2004

** مذكراتي في السياسة والثقافة الجزء الثانى الصادر 1988 ـ د. ثروت عكاشة ـ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة مكتبة الأسرة 2004

** الحركة السياسية في مصر ـ طارق البشري 2002 طبعة دار الشروق.

** هكذا تكلم نجيب محفوظ ـ محاورات عبد العال الحمامصى ـ طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة 2006.

** نجيب محفوظ محاورات قبل نوبل ـ أحمد هاشم الشريف ـ كتاب صباح الخير ـ طبعة 1989.

** عودة الوعى ـ توفيق الحكيم ـ طبعة 1972

** البحث عن السادات يوسف إدريس – طبعة طرابلس – الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية 1984

*****

المادة الأرشيفية عن:

* دار الكتب والوثائق القومية

* مؤسسة الأهرام

* مؤسسة أخبار اليوم (صحيفة الأخبار، مجلة آخر ساعة).

* مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر (صحيفة الجمهورية، صحيفة المساء).

* مجلة الإذاعة والتلفزيون

* صحيفة الأهالي

* مؤسسة روزاليوسف (مجلة روزاليوسف،مجلة صباح الخير) .

*****

التسجيلات المرئية والصوتية.

* هذه الروابط موجودة على اليوتيوب وبالإضافة إلى ذلك وخوفًا من التدخل وحذفها تحتفظ أسرة زكي عمر وأنا كذلك بها على أسطونات مدمجة.

(1) ربط الفيديو الأول للفنان محمد نوح.

https://youtu.be/R0kZ12Qmfi4

(2) رابط الفيديو الثاني للفنان محمد نوح:

https://www.youtube.com/watch?v=OOjzOl_YYfs

(3) رابط الفيديو الثالث الذي يضم حديث الكاتب حسين نوح. وحديث الشاعر إبراهيم رضوان:

https://youtu.be/ug5yrDOy6Qo

الكلمات الأصلية للشاعر زكي عمر:

"مدد.. مدد.. مدد/ شدي حيلك يا بلد

إن كان في أرضك مات شهيد

فيه ألف غيره بيتولد

مدد مدد مدد

بكره الوليد/ جاي من بعيد

راكب خيول فجره الجديد

يا بلدنا قومي احضنيه

دا معاه بشاير ألف عيد

قومي انطقي.. سيبك بقى
من النومة جوه الشرنقة
دا النصر محتاج للجَلَد
مدد مدد مدد
لو كان في قلبك شيء قوليه
الحزن هيفيدنا بايه
يا سكة مفروشة بأمل
مشوارنا حطي العزم فيه
يا بلدنا سيبك م الدموع
قومي اقلعى توب الخضوع
دا النصر محتاج للجَلَد
مدد.. مدد .. مدد".

**** الكلمات الأصلية للشاعر زكي عمر من المسرحية والمصورة أيام عرضها للتلفزيون المصري عام 1973**

رابط أغنية المسرحية الأصلية:

https://m.youtube.com/watch?feature=youtu.be&v=cHQ9pguQeaI#dialog

*****

(3) الكلمات بعد السطو عليها وتغييرها لتحمل اسم الشاعر إبراهيم رضوان:

(مدد.. مدد.. مدد/ شدي حيلك يا بلد

إن كان في أرضك مات شهيد

فيه ألف غيره بيتولد

يا حبيتي راجعة زي طير

راجع لحضن الصحاب

بالحضن يا أم الشوك حرير

يللي فتحت ألف باب

يا سينا.. ما نسينا اللي فات

يا أغلى أغلى الذكريا ت

يا شراع في بحر بيتفرد

مدد.. مدد.. مدد.

الله ..الله ..هيله.. هيله

قمر الرجوع فرد القلوع

ولا عادش يا سينا فراق

راجعين بدون حزن ودموع

نفرش رمالك بالضياء

مهما عيوب الناس تفوق

الابن راح يرجع لأبوه

ويعيش في حضنه للأبد

مدد .. مدد .. مدد

حزرع رمالك بالنجوم

وأروي جبالك بالقمر

اليوم في بعدك ألف يوم

والقلب كان قد السهر

يا عقد فوق صدر الحياة

العشق جوانا صلاة

يا سينا.. ووجودك سند

مدد .. مدد .. مدد

الكلمات بعد السطو عليها من الشاعر إبراهيم رضوان مصورة تليفزيونية.

الرابط :

https://www.youtube.com/watch?v=-mGaEME-Ebo&fbclid=IwAR3jH4likNTn9dV_4VLD1FchqNT8ebXTldWtF07ZFzyYByDZiNmn3eJFzWs

*****

الكلمة الملعونة

ملعونه الكلمه ان جت من عالي لتحت

ملعونه الكلمه اللي ما تطلع من تحت لفوق

ملعونه الكلمه ان خافت تطلع فوق

ملعونه الكلمه الكبت

ملعونه الكلمه ان نهشت عرض البنت

ملعونه الكلمه الخاينه ، الزانيه ف بطن الليل

ملعونه الكلمه الخانقه ، الشانقه في الضلمه شروق

ملعونه الكلمه ان لعبت وقت الجد

ملعونه الكلمه الفرد

ملعونه الكلمه العبد

ملعونه الكلمه الألفين وش

ملعونه الكلمه الغش

ملعونه الكلمه الهامسه ، الناعسه في يوم الرعد

ملعونه الكلمه اللي ما تخرج من حلق الشعب

ملعونه الكلمه الرعب

ملعونه الكلمه الباهته ، الفاتره ، القش

ملعونه الكلمه العايمه مع الربان

ملعونه الكلمه الرقاصه بين الشطآن

ملعونه الكلمه الضايعه ، المايعه ف وقت الصعب

ملعونه الكلمه الغدر
ملعونه الكلمه اللي ماتنشد موال الفجر
ملعونه الكلمه اللي ما تضغط مهماز الخيل
ملعونه الكلمه الديل
ملعونه الكلمه اللي ما ترضع من بر النيل
7 سبتمبر ـ 1967

*****

الحلم فى عز الضهر

.. و حلمت في عز النهار
مارد -كأني- و الدراع ألفين دراع
و الخطوة مني بلاد .. بعاد
راكب .. مراكبي و مركبي شاقة البحار
قبطان - كأني- و دفة المركب في إيدي .. و الفنار
و حبيبتي ماشية عالشطوط حاضنه الصغار
و اللقمة كافية ، الهدمة دافية ، الكلمة أعلى م الهلال
و البنت حبلت في الحلال
و القرش في جيب الصديري مش مدين
و لا صاحبي أجل دخلته لبعد الحصاد
و لا بنتي ماتت .. و "الروشتة" ريال صفيح
باحلم أنا .. باحلم صحيح
باحلم -مازلت- إستنظروا ..

.. و حلمت خير
و كأني واقف في الميدان
بالمدفع الرشاش .. و إيدي عالزناد
و طابور طويل خارج من الحارة الى قلب الميدان
و كل من في الصف .. كله م الجيران
و جوه كتير .. بالإسم أذكر .. و الشبه
العيال البويجية -آل- و عمال المجاري ..
-لا مؤاخذة-
و العيال الورشجية .. و الأساتذة .. و التلامذة ..
و البنات .. و الفلاحين .. و الكفر كله
كله واقف في الطابور
و كإن طاقة من جهنم قايدة والعة في الصدور
بركان بيغلي .. في الصدور
و الصهد خارج م العيون بيبخ نار
و الشمس عالية في المدار
و الناس كتار
و الصف ماشي بالبنادق عالرصيف
و الناس بطول الصف كفاها الرغيف
شفتهم -في الحلم- لم كدبت عنيا
اللهم اجعله خير.
.. و حلمت خير .. يا رب خير

و كأني يا حافي القدم ماشي أهز الصولجان
و الأمر .. أمري و البيان
و كلامي "مانشيتات" على صدر الجرايد في الصباح
و الكرسي قاعد فوقه وحدي .. ماليش شريك
و حبيبتي بتغني على صدري الأمان
و باحس -أنا- العطشان حنان
إني ابن ناسي -وسط ناسي- مش غريب
إني باقول الكلمة تتنغم أدان
إني -أنا- حافي القدم .. إنسان.
28 ـ يناير ـ 1969

*****

موال عاشق تحت شجرة صفصاف

عارف .. إن الفرق ما بيني و بينك ،
هوَّه الفرق ما بين الكفر و بين البندر
عارف .. و أعرف أكتر
إن أنا لسّه - يادوبك - أخضر
إني ماليش في أغاني الراديو .. غشيم
إني ماليش في كلام الحب كوّيس ، عارف
إن أنا لسّه صغيّر خالص خالص
لسه صغيّر
لسه باخاف م الليل و جيوشه

لسه جناحي بيطلَع ريشه
لسه باحاول ..
أكتب فيك الشعر ، و أقوله
عارف ..
إني قليل القول ، مش عارف ..
أنطق إسمك .. خايف
لكني يا ست الحسن باعيش الحب باعيشه
باتوضى معاك و باصلي الفجر ف سري
ساكت مغلوب على أمري
و ف عشمي يطول العمر .. و أكبر
و أقدر عالقول الواضح .. و أقدر
أخدك في دراعي و نجري
أنا و أنت ف بحر الناس .. أنا و أنتي
و إن عشت – يا حلوه – و عشتي
نفتح شباكنا الشرقي
و أعرق .. و أسقيلك عرقي
.. ..
و لإن الحب سلوك يا حبيبتي
مش عنت ح أقول و لا كلمة
أنا عارف ، عارف ، عارف
إزاي أنا حاخد حقي

و إزاي راح تبقي عروستي .

3 ـ مارس ـ 1970

*****

(الصفحة الأولى في الجرنال)

"أخبار" .. "مسا" .. "أهرام"

الصورة .. و الكلام

"جيفارا" مات .. عشان ..

الدنيا تولد ألف من "فيتنام"

"بودجورني" غاضب من رفيقه "ماو"

الهند فيها المجاعة و الرغيف بتاو

أمريكا عقدت صفقة الطيران

ضرب "الميراج" عمان

جيش "الماليشيا" دخل "سايجون" في هذا العام

تم إنتحار الراقصة "شاهيناز"

هأ .. أ .. آ.. و

في القدس قامت مظاهرة هزت العالم

سهرة في "كازينو الحظ"

"يارنج" عاد مبعوث سلام للشرق

الطقس برد .. و برق

حادثة مريعة عملها "المترو أبو شرطة"

(جنرال فرنسا) دخل بالغرب في ورطة
البحث جاري عن مدير هارب ..
إبحث مع الشرطة
(كوزموس) يعود للأرض
فرصة لست البيت ..
تلاجة تسعة قدم ، أصواف ، نجف ، بتوجاز ..
سخان ، سرير هزاز
"الأهلي" فاز نقطة ..
خلع الهوا حبال الخيام
صرخ الغلام
إقلبوا الصفحة

*****

قصيدة بلا عكاز

يا شعرا .. يا أصحاب
يا قلب مصر الأم
لموا دموع الكلمة من فوق الكتاب
دقوا بإدين العافية عالأبواب
هاتوا الكلام اللي يهد الصخر
هاتوا الحروف اللي تشد الضهر ..
و تخضر اللبلاب
و تنبت الحبه سنابل قمح

و دق كيف المطارق ، يزعق السندال
و تهز قلب البنادق عالجبال .. و السفح
و تناغش البسمة في وش الصبح
و تزغزغ الضحكة في وش الناس
دبلدنا لسه شباب
عايزة الإدين العفية .. و الكلام مهماز
عايزة القصيدة اللي بلا عكاز
عايزة القصيدة اللي تمشي خطوتين للنصر
يا شعرا .. يا أصحاب يا كتير .. كما النوار
هاتوا الأمل .. أشعار
دبلدنا لسه ف أول المشوار
غنوا نشيد البنادق ، إسبقوا الأيام
غنوا الشجاعة .. و غنوا العزم و الإقدام
غنوا الشهيد .. البطل ، غنوا الفدائي .. الحر
غنوا الكفاح ف السويس ، في القدس ، في فيتنام
في أنجويلا ، في كوبا .. غنوا للإنسان
يا شعرا .. يا شبان
زفوا النهارده لبكره .. فجروا البركان
دبلدنا لسه زندها عرقان
إوعوا العرق يبرد
إوعوا الأتون ينطفي ، خلوا الأتون والع

خلوا القدم طالع
خلوا زناد الكلام في حرارة الشارع
هاتوا الكلام العفي .. هاتوا الكلام صوان
داحنا .. يا شعرا -بنبني عزة الإنسان-
يا شعرا .. يا أصحاب
كان .. ياما .. كان .. يا شباب
كان .. يا شباب العصر
كان "النديم" في مصر
و ف تركيا "ناظم"
و فرنسا كان "إيلوار" .. و كان "أراجون"
و كان ..
كان "لوركا" في الأسبان
كانوا الشعور .. و الحس
في الصمت كانوا الكلام .. في الضلمة كانوا الشمس
كونوا .. كما كانوا ..
كونوا نفير النصر
يا شعرا .. يا أصحاب
يا من زرعتوا الكلام لم كلتوا منه رغيف
يا من طعامكم .. عرقكم .. عالرصيف و الريف
يا ترجمان البلد في الحارة .. و الشارع
يا كل أخ شريف

إوعوا تبيعوا الكلام مهما يكون تمنه
إوعوا تشيلوا الكلام في الزفة .. و التشريف
إوعوا تقولوا الكلام متكسر المجاديف
إوصيكوا يا أصحاب
يا من مشيتوا في طريق الصعب
إوعوا تقولوا الكدب
ماتمرغوش الكلمة عالأعتاب ..
و احكوا الكلام الحقيقي عن لسان الشعب
27 ـ مارس ـ 1969

*****

سمع هس ... سمع هوووس

لما تبقى الكلمة ليها ألف وش و ألف لون
لما تبقى الكلمة في سوق السياسة ..
يافطة .. فوق باب النخاسة
لما تبقى الكلمة أرخص م التراب
لما تبقى الكلمة سايقاها الحماسة ..
ـ" .. .. أكل عيش"
لما تبقى الكلمة لقمة بسكويت
لما تبقى الكلمة نايمة ف حضن هيلتون
لما تبقى الكلمة دافية .. خايفة تبرد

لما تبقى الكلمة راكبة درجة أولى
لما تبقى الكلمة لابسة صوف فرسكا
و قاعدة تقرا ف شعر لوركا ..
و تحكي في قصة جيفارا –
–".. .. .. يا خسارة"
لما تبقى الكلمة : قولي يا واشنطن ..
جونسون أحسن .. و اللا نيكسون ؟!
–".. .. .. شئ يجنن"
لما تبقى الكلمة واقفة عالمنصة .. ترن خطبة
عن باتستا .. و عن لومومبا ..
و .. عن حكاية فتح عكا ..
و .. كيف مليشيا الفيتنام دخلت خى سانة
لما تبقى الكلمة –اصلاً– فض مجلس ..
– ".. .. .. تبقى خيبة"
لما تبقى الكلمة –فيلماً– للإثارة
(الشجيع ركب الحماره)
(الشجيع دخل المغاره)
(الشجيع كسر الحجاره)
(الشجيع قتل العصابة)
(الشجيع نجد الغلابة)
(الشجيع له جلد أبيض)

(الشجيع له قلب أبيض)

(الشجيع وارد أميركا)

- " . . . . . النهاية !! "

لما تبقى الكلمة في الجرنال .. حوادث

(كيف مخيمر عض كلبه ؟)

(كيف هريدي طخ صاحبه ؟)

-" و الجوازة بقت جنازه .. يا داهيه دقي "

لما تبقى الكلمة - قصداً و اللا سهواً - سم هاري

م الرداوي بنجرعه و لا حد داري

(يا حبيبي قولي حاجه .. أي حاجة !!)

(مانت عارف -يا حبيبي- حبي خالص)

(أيوه مالص -يا حبيبي- أيوه بالص)

(و اللا أقولك ؟ ... مش حاقولك)

(لا تقل شئنا .. فإن الحظ شاء)

(يا حبيبي .. طفي ناري)

(يا حبيبي حرام عليك)

(يا حبيبي .. طظ فيك)

-" .. .. الخ .. و هلم جرا "

لما تبقى الكلمة في إيدها السجارة ..

و السجارة بفم فلتر .. صنع لندن

لما تبقى الكلمة خارجة م الو .. ..

عاملة غارة

و العبارة في الدوبارة ..

غنوة ماشية ف كل حارة

-" .. .. الخلاصة ؟!! "

لما تبقى الكلمة .. لجل (الكلمة) بس ..

يبقى لازم .. ننكتم ..

نسكت ..

نهس.

14 ـ يناير ـ 1969

*****

(من أوراق واحد مات)

الورقة الأولى

لو إن المعنى يمزع بطن الشاعر

لو ان نعدي بحور الصمت الصامت

لو ان نخطي جدار الضوء الخافت

لو ان دراع الخطر الباتر ..

يفتح شباك الدور العاشر

لو إن الفدان "ملك" يساوي السهم "مزارعة"

.. حين ينشف بز الترعة

لو إن نيران العركة تغامر ..

و تزق علينا أبوابنا

لو رقصت على أعتابنا
لو قسمت معنا اللقمة .. و شربت معنا القهوة
لو دخلت بينا لجوه
لو نامت فوق سرايرنا
لو إن الدم يخطط وش شارعنا
مشوارنا .. ح ينقص مليون خطوة
و ح تفضل بس .. الخطوة الجاية ..
و عيدان القطن تحبِلْ بطن الأرض العاقر.
الورقة الثانية
الصوت الهامس .. ضدي
و لإني خويت الغيط .. علمني
إزاي على حبل الصوت بيشب القمح ويدي
و الريح بيجيب .. و يودي
.. ..
يا حبال الصوت الهامس
الصوت الهامس .. خاين
و الأرض البايرة .. بتعدي
.. ..
الورقة الثالثة
لو كنت تسيبني يا صاحبي .. أكمل
لو تاخد مني .. و تدي

كان لازم ، حتماً .. نوصل
و ان توهنا .. آدي احنا ح نسأل
مش عيب ان دقت إيدنا بيبان و حيطان
و سألنا عن العنوان
و ان غبنا شوية – يا صاحبي– إتحمل
أهو برضك أهون .. و اهون
من انك تقتل كلمة ف بق صاحبها.
الورقة الرابعة
إختاروا اسمي .. ديانتي .. مدينتي
طعامي .. شرابي .. وظيفتي
إختاروا –حتى– اختاروا مرايتي
لكني بنفسي اخترت حبيبتي
و ركنت ف حضن الناس لنهايتي
سطرت بإيدي حكايتي.
الورقة الخامسة
فلتحيا الفرسة الشاردة .. الجامحة
و لتحيا الإيد الفالحة
و لتحيا الإيد البانية العاملة الكادحة
الورقة السادسة
خد غنمي .. بقراي .. قيراطي
خد لقمة بيتي .. و زرعة غيطي

خد ضلة شجري و حيطي
أهون من إني أطاطي
و أنام .. و أقوم في الركن الواطي.
الورقة السابعة
خد عيني -إن شئت- الباقية
و ان شئت .. دراعي التانية
خد مالي .. نحاسي .. لحافي
خد حتى الزير .. والكنبة
إحرمني الزاد .. و القربة
إرميني ف بحر الغربة
و افرش على وش حبيبتي الضحكة
وريها منين السكة ..
خد إيدها .. و خطي العتبة.
الورقة الثامنة
في غيطان قمح الصعيد
في حواري الدلتا .. في مدن الكنال
في كراريس العيال
في رنين جرس المدارس
في سطور جوابات حبيبتي
في الكباري .. في الجسور
في صمود شجر الكافور

في شموخ النخل .. في جبين الرجال
في هدير دق المطارق
في المناجل
في المعاول
في عيون النبع .. في عروق الجداول
في بحور الصمت .. في نهر الكلام
في قصايد شعر -شوفته- و عالحدود
في طابور زحف الجنود
في الخنادق
في دما الشهدا .. في صرخات البنادق.
الورقة الأخيرة
.. .. .. و ما تقلقوش
مشوارنا لسه ف أوله
و مدام بدأنا .. .. .. نكمله
.. ..فاتحملوا.
24 ـ يناير ـ 1970

*****

(الشارع و الحرب)

في بلدنا الشارع قال :
و الشارع أصدق صوت إن قال ..

إعطيني سلاحي .. و سيبني
إعطيني "باروده" يا خال
أنا سيد من يولد وقت الشدة رجال
و يشيل م الصعب جبال
أنا عمري .. بعمر الحي بطينه .. بناسه
أنا قلبه .. و ضهره .. و راسه
مع أول دبة رجل ف صدري
لميت الناس فوق ضهري
و مشيت مشواري الحافي
و عجنت بعرقي رغيفي
رطبت هجير الشمس الصيفي
دفيت الليل الشتوي
مع إن أنا عايش يومي .. بيومي
مش عايز حد يشيل عن ضهري همومي
إسمعني -يا خال- إفهمني
الكف ان سلم وقت الحرب منافق
و القدم السابق .. سابق
و يا روحي .. ما بعدك روح
إعطيني بدال الكلمة بنادق
إعطيني بدال البيت العالي خنادق
أنا عايز -مره- أكون البادئ

أنا أعلم بالأحوال
صدقني -يا خال- الحرب قاصدني
بالذات .. الحرب قاصدني
الحرب مالوش أصحاب في البيت الواطي
الحرب مالوش في رصيف الناس رسمال
الحرب مالوش أطفال
إسمعني - يا خال- أمال
مش عايز حد يدافع عني
إعطيني سلاحي .. و سيبني
إعطيني سلامة بيتي
أعطيك عربون .. اليوم .. الآتي.
22 ـ مايو ـ 1970

*****

(البيض الفاسد)

- أنا شفت الشاعر .. إياه ..
شفتوه ؟
شفناه
بيبيع حدوتة أهله بنص فرنك ..
- أنا شفته بينهش لحم كتاف اصحابه ..
و بيصلب اخوه في غيابه ..
و بيشرب دم أبوه كونياك ..

- الحق معاك ..

أنا شفته بيشرب شاي مع تعلب

و بيلبس وش ف بيته و وش ف بيت الناس ..

و بيقلع ثوب السهرة .. و يلبس ثوب الشارع

و يقول أحاديث للراديو .. و للجرنال

- قال إيه ؟

- قال إن مفيش غير هوه .. و صاحبه فلان ..

فرسان .. أولاد فرسان

- غلطان

مع إن الام ولادها كتير ..

لم فكر واحد منهم ياكل لقمة عيشه !

- أنا شفته ف آخر مرة مالوش في الشعر قيراط ..

مع إن بقولوا : حداه م الطين عشرين فدان ..

و ديوان

- لأ .. أكتر

- جايز..

العبره ماهيش في الشعر و بس .. يا هوه

العبرة في اللي قالوه ..

في سلوك الشاعر .. ذاته ..

هل هوه بيقول الشعر و يدفع تمنه ؟

أم هوه بقوله و يقبض تمنه ؟!!

– أنا شفته بعيني .. ماحدش قاللي ..
بيبيع غنيوة أهلي ..
في السوق السودة بست برايز
و بيعطي الناس .. بالفايظ
– مسكين ..
قتلوه بالقرش الصاغ
– مين غصبه يموت نوبتين ؟
– البيت ..
– ما هي كل الناس جواها بيوت !!
– أنا عايز أقول ..
– قول ..
– ملعون البيت .. إن كان لصحابه تابوت
2 ـ يوينو ـ 1969

***

(لو ...)

لو تفهموا معنى السكوت
و الهمس في ضل البيوت
لو تفهموا ..
ماكانتش ضحكة صاحبي في قلبه تموت !
لو تسمعوا بس الكلام
لو ترخوا حبه في اللجام

لو تسمعوا ..
ماكانتش آهة صاحبي تشهق في الضلام !
لو تسمحوا للناس تقول
و لا تدهنوش وش الكلام
و لا تخطفوش اللقمة من بق الصغار
لو تسمعوا كل الحوار ..
كان يحبل الليل في النهار !
لو تسمعوا نبض الحضيض
لو تسمعوا ناس الحضيض
لو تنزلوا بطن السكات
للمخمورين ، و المومسات
و النصابين ، و النشالات
و المجرمين رد السجون
و الصيع ، الضيع ، و صبيان السبارس
العطشانين جنب المدارس
اللي يخافوا العسكري لو كان أبوهم
اللي لو إنتم تسمعوهم ..
تسكتوا ما تحطوا منطق !
لو تسمعوا صوت الحواري الضيقة
لو تسهروا الليل الضرير
لو تشربوا مش الحصير

لو تنزلوا قلب البلد
و تشوفوا ايه اللي إندفن يوم ما إتولد
لو تقروا وش الفلاحين
لو تقروا صفحة من كتاب المعرفه ..
كنتم – و حق الملح ، و العيش الدره –
تبقوا – حقيقي – مخلصين
25 ـ أكتوبر ـ 1968

*****

(الصور والوثائق والمادة الرشيفية)

إعلان وزارة الثقافة الذي يحمل اسم الشاعر زكي عمر فقط

منحة التفرغ التي منحتها الدولة للشاعر زكي عمر

تفرغ مؤلف « شدى حيلك يا بلد »

اصدر الدكتور محمد ابراهيم دكرورى محافظ الدقهلية قرارا بتفرغ الشاعر زكى عمر من عمله فى تفتيش زراعة دكرنس .. حتى يواصل انتاجه الشعرى لمسرح المنصورة القومى .. وذلك بعد نجاح مسرحيتيه - الشرارة - .. و - شدى حيلك يا بلد - اللتين مازالتا تعرضان على المسرح الحديث بالقاهرة ، ومسرح المنصورة ..

الشاعر زكى عمر يكتب الان نصا مسرحيا شعريا جديدا بعنوان - كفر الاعجر - دقهلية - سوف يخرجه المخرج عبد الغفار عودة مخرج مسرحية - شدى حيلك يابلد - لمسرح المنصورة ..

تحية للمحافظ .. والقرار والشاعر

غنوا نشيد البنادق ..

مع الخطوات الثورية الاولى والشرعية بجو ارضنا السليبة ومع الطلقات الثائرة الضاربة والمشروعة في خطوط عدونا الحصينة ، كان على كل الاصوات أن تسكت لان الزحف المقدس جاء نبضه أعلى واعتى مما كنا نتوقع ولان النصر المؤزر لاحت بشائره أسرع وأروع مما كنا ننتظر .

ومع كل هذا وبعد أسبوعين كاملين من العبور الرائع الذى لم يفق العدو من مفاجأته بعد .. ومن القتال الضارى الذى لم تهدأ نيرانه بعد .. فان « مشوارنا لسه في أوله وطالما بدأنا حنكمله .. فاتحملوا » ..

هذا ما يقوله العرض المسرحى الجديد « شدى حيلك يابلد » وهذا ما تؤكده كلماته التى تجيء بنبراتها الحادة وأنغامها الصارخة فى مثل قوة السلاح وعلى مستوى الكفاح .

فهنا مرض أعد خصيصا وفى فترة وجيزة ليشارك فى العبور .. عبور العزيمة على كل الجبهات العسكرية والسياسية والاقتصادية والاخلاقية والفنية أيضا!

فمن « أدب الجماهير » ومن ديوان « الحلم فى عز الضهر » اختار المخرج « عبد الغفار عودة » أشعارا حماسية ملتهبة لشاعر المنصورة المناضل « زكى عمر » وعهد بها الى الملحن والمغنى الجاد « محمد نوح » يصاحبه أعضاء « فرقة النهار » والصوت الطالع « سلوى امام » فضلا عن مجموعة من شباب « المسرح الحديث » بتقديمها « عتد السلام مجدد » و « ميرفت سعيد » وتعاونوا جميعا وباخلاص — لم يعدنادرا — فى تقديم نموذج حى لـ « مسرح المعركة » فى اطار مايسمى بـ « المسرح المفتوح » او ما يمكن تسميته بـ « الجريدة المسرحية » ..

أنا « مسرح المعركة » فهو ذلك التجاوب التلقائى والمباشر مع الاحداث العسكرية والسياسية فى الحرب وفى الاستعداد للحرب على السواء ، تجاوبا من شأنه رفع الروح المعنوية للجبهة الداخلية استشعارا للتقدم واستبشارا بالنصر .. وأما « المسرح المفتوح » فهو ذلك الوليد الذى يتخلق يوما بعد يوم فى حضور الجمهور وبمشاركته الفعالة جاعلا من الصالة وخشبة المسرح وحدة واحدة ملتحمة ومتلاحمة .

وتبرز أهمية « الجريدة المسرحية » فى وقت الحرب بصفة خاصة لما تقوم به من دور اعلامى خالص جنبا الى جنب مع الهدف الفنى المنشود ، فهى تعرض يوميا وتستعرض بانتظام مادة مختلفة ومتنوعة من الريبورتاج وتسيره الى الخبر وتحليله والى البيان والتعليق عليه .. حتى يكون المتفرج والممثل كلاهما على صلة مستمرة بما يدور خارج المسرح فترة وجودهما فيه وتواجدهما معا ..

وهذا ماحدث بالفعل فى العرض الطليعى « شدى حيلك يابلد » الذى يحيل « مسرح الجمهورية » ، فى كل ليلة الى شعلة متقدة ومتوهجة من الحماسة والوطنية وخاصة عندما يصدح صوت مصر ينادى « يا شمرا يا أصحاب .. لوا دموع الكلمة من فوق الكتاب .. دقوا بايدين المافية عالابواب .. هانوا الكلام اللى بهد الصخر .. هانوا الحروف اللى تشد الظهر .. وتخضر الليلاب .. وتنبت الحبة سنابل قمح .. وتهز قلب البنادق عالجبال والسفح .. دى بلدنا لسه شباب .. دى بلدنا لسه فى أول المشوار .. غنوا نشيد البنادق اسبقوا الايام .. غنوا الشجاعة .. وغنوا العزم والاقدام .. غنوا الشهيد البطل ، غنوا الفدائى الحر » ..

وعندما يجيء رد الشاعر ابن الشارع

فتحى العشرى

« أنا واقف حزام ناسف صديقى غنوني مدفع .. طريقى للنهار زاحف لغاية مالليل راح يرجع .. لغاية مالضلام يزهق وحلم حبيبتى يتحقق.. أنا الانسان فى كل مكان أنا الخطوة اللى راح تسبق .. أنا موجود رصاص وبارود لاعدائك يا حرية .. »

وعندما يصرخ صوته مؤكدا : « فى بلدنا الشارع قال والشاع أصدق صوت ان قال .. أعطينى سلاحى وسيبنى .. اعطينى بارودتى . ياخال .. مش عايز حد يشيل عن ضهرى همومى ..اعطينى بدال الكلمة بندقى ..اعطينى بدال البيت العالى خندق »

وأخيرا عندما يفجر هذه العبارة التى تصلح شعارا لحربنا الدائرة على العدو

« مدد .. مدد .. شدى حيلك يابلد .. ان كان فى ارضك مات شهيد .. فيه الف غيره بيتولد .. »

أجل .. شدى حيلك يابلد .. شدى حيلك يانصر وشد حيلك ينتصر .

الاهرام - ٢٦/١٠/٧٣

كلمة الناقد فتحي العشري بالأهرام بتاريخ 26 أكتوبر 1973 م

* الاذاعة والتليفزيون
السبت ٥ يناير ١٩٧٤ ـ العدد ٢٠٢٥ ـ

المسرح

● وكتب جلال العشري :

الحقيقة الروحية والحضارية التى نفرضنفسها على الواقعين الفنى والتاريخى هى ان الرصيد لتقويم هذا العام .. ١٩٧٣ .. لا يسمه ان يرى فى اليوم الاخير من شهر ديسمبر نهاية له ، بمقدار ما يرى ذلك النهاية فى يوم السادس من اكتوبر، فلم يكن السادس من اكتوبر بدايةلعام جديد وكفى، ولكنه كان بالاضافة الى ذلك بداية عهد جديد ، او كان بالاحرى حدا فاصلا بين تاريخين .. بين صفحة النكسة وبين صفحة النصر .

ومن هنا لا من هناك ولا من أى مكان آخر ، يصبح النظر فى حصادنا الفنى بعامة والمسرحى بوجه خاص ، فيما قبل السادس من اكتوبر ، شيئا لا طائل تحته ، لانه فى جوهره وبخاصة فى العام الاخير من اعوام النكسة ، أما الزائر مرور لوافح مرير ، أو قرار سيل نحو ضحك وتهكم ، فى الاولى تراجيديا حزينة ولكنه حزن كالضحك ، وفى الثانية كوميديا ضاحكة ولكنه ضحك كالبكاء.

على انه ليس الحكم الجامع المانع كما يقول المناطقة ، ولكننا القاعدة التى تستطيع ان نستثنى منها بعض الاعمال المسرحية التى اتسمت بالكفاح من أجل مصر ، والنضال من أجل النصر ، من ذلك مثلا مسرحية « ايوب الجديد » التى كتبها يوسف الخطاب واخرجها كمال حسين وقدمتها مسرح الطليعة ، والتى تشيد بالقيم الايجابية فى شخصية الانسان المصرى .. ذلك الانسان الذى يجمع فى شخصه بين الصبر والثورة ، فهو صابر لا عن استسلام ولكن عن ايمان للسلام ، وهو ثائر لا عن رغبة فى التدمير ولكن تعبيرا عن ارادة التعمير

ومن ذلك ايضا مسرحية « الناصر صلاح الدين» لمؤلفها محمود شميان ومخرجها كمال حسين والتى قدمتها المسرح القومى تذكرا بالمثل العليا الرفيعة فى سيرة ذلك القائد العربى الذى ناد جيوشه ضد الصليبيين فى حرب مقدسة تصون السلام بالحرب ، وتحمى الحق بقوة السلاح ، وتدافع بأرواح البشر عن ارض الآباء وبيت الله .

ولكن اذا كانت هاتان المسرحيتان مما كتب قبل السادس من اكتوبر واستمر عرضهما بعد ذلك اليوم المجيد ، فهما على أية حال ليستا . ولادة ، اكتوبرية اصلية ، تنتميان بالانتساب الى ذلك التاريخ ، وصحيح ان من المسرحيات ، الاكتوبرية ما ظهر فوق المسرح ، بكم « اكبر وكيف » اقل ، او بقليل من القرامة وكثير التمر ، ولكن الصحيح ايضا ان هذه الاعمال بما تنطوى عليه من صدق فى التعبير ، وحرارة فى التصوير ، وانفعال حى ومباشر بالقلق المركزى العام كانت بداية انزال فنى فى الجبهة الداخلية ، وبيانات مدفية تنطلق من فوق مسرح الفن كرجع صدى للبيانات الحربية

ومهما يكن من خصائص عامة وسمات مشتركة بين هذه الاعمال جميعا، فثمة تفاوت فنى بين بعضها والبعض الآخر ، يجعلنا نتوقف وقفة اطول واعرض واشمن خطا أو خطين تمت لثلاثة اعمال مسرحية كانت اكثر من غيرها اتصالا بالمعركة واستجابة للاحداث وربما كانت فى طليعة هذه الاعمال الثلاثة مسرحية « حدث فى اكتوبر » التى كتبها مؤلفها الشاب اسماعيل العادلى واخرجها للمسرح القومى كرم مطاوع ، وتقاسم بطولتهامحمود ياسين وسهير المرشدى والفنان الكبير شفيق نور الدين ، وهى مسرحية تجمع بين طرافة الفكرة وبساطة العرض ومباشرة الحوار ، واذا كانت المسرحية قد تضمنت طرحا جديدا لاسطورة ابوس واوزوريس تضمن اطار المسرح العادى الذى اختاره الكاتب فلان هذه الاسطورة بالذات تنطة من تراث مصر، فضلا عما فيها من تصوير للصراع الدائر بين الخير والشر ، والانتصار الشر فى البداية ثم هزيمته فى نهاية الامر امينا من الانسان المصرى بأن الشر زائل، وعارض، أنا الخير فباقىودائم وأصيل، ومهما تكن سلبيات هذه المسرحية وايجابياتها معا ، فيكفيها شرف الجراة والشجاعة ، والتصميم على الهبوط بالبراشوت فى قراع الحياة المسرحية بعد السادس من اكتوبر مباشرة .

فاذا انتقلنا من هذه النقطة الدرامية فى رحى المعركة ، وانتقلنا الى ولادات اخرى ظهرت فوق المسرح ، فالمنا العرض المسمى « فى حب مصر » الذى وضع اشعاره سمير عبد الباقى واخرجه سامى صلاح وقام بتلحينه عدلى فكرى وقدمته جماعة الدراما بالقاهرة ، فهذا عرض استطاع ان يشكل نوعا من التوازن الرقيق بين ما فيه من أشعار وبين ما تحيط بهذه الاشعار من الحان ، ثم بينهما وبين ما يصد هذا كله من اداء تمثيلى ، وهو وان شكل ما سميناه بالمسرح الشعرى الذى لا يرقى الى « المسرح الشعرى » بالضرورة ، الا انه سوف يؤدى اليه بالتطور .

واذا كان لابد من عرض ثالث يلى هذين العرضين لكان بالضرورة هو العرض السرى الفنانى « عدد .. عدد .. شدى حيلك يابلك » الذى عرف مخرجه الساعد عبد الغفار عودة كيف يزاوج بين اشعار زكى عمر النسبية والحان محمد نوح المصرية محاولا أن يقدم عرضا يجمع بين الاصالة والمعاصرة، وان يكون فيه من الفورية بمقدار ما فيه من الصدق والحرارة ، بحيث يكون فى النهاية عرضا « للمشاركة » لا « للتلقى » اعنى عرضا لا يتلقاه جمهور السالة ، وانما يشارك فى انتاجه واشعاره وآدائه مشاركة جماعية.. ولقد استطاع « العرض » حقا برغم القصام الشعر عن الموسيقى من الاداء ، ان يحافظ على المناخ الفركى من حيث جيشان المشاعر والتهاب الخواطر ، والتحام الرمز بالواقع .. وزواج الصورة من الاسطورة بحيث تتبه المعانى والكلمات جميعا بفضل أداء ميرفت سعيد وعبد السلام محمد وفؤاد أحمد فتصبح صواريخ مضادة لكل مظاهر التهور والعدوان .

على أنه اذا كانت هذه العروض المسرحية الثلاثة : « حدث فى اكتوبر » و « فى حب مصر » ثم « عدد .. عدد .. شدى حيلك يا بلك » هى أبرز عروض ما بعد السادس من اكتوبر، باعتبارها الاكثر من غيرها اتصالا نحو الهبوط بالطلقات فى قراع الحركة المسرحية ، وحشو قلوب المواطنين بالطاقة والثقة الدفع والحركة المثمرة ، فان اهم مايجب فيها هو انها استطاعت فوق هذا جميعه ان تكون بمثابة كاسحة الغام لكل العروض الهزيلة والهزلية التى فرضنا بها وضاق بها الجمهور ، وان تكون كذلك رؤوس جسور يعبر عليها مسرحنا من مسرح الهبجة الى مسرح المعركة !.

كلمة الناقد جلال العشري

في مجلة الإذاعة والتليفزيون

يا طلقة الرصاص .. يا كلمة الخلاص

ان اقرب الفنون الى الاستجابة الفورية هو « فن الشعر » .. ذلك انه ينساب من عقل الشاعر ووجدانه ليعبر عن « اللحظة » ببلاغة ويصل الى عقل وقلب المتلقى بنفس سرعة « الصوت » .. فيعبىء ويشحن ويحرك .

كما لا يستطيع اى فن آخر من فنون الكلام .. وهو فن قائم بذاته .. بمعنى انه يتضمن القيم الثلاث التى ينبغى ان تتوافر فى اى فن مسموع او مرئى .. القيم العقلية او الفلسفية ، والقيم العاطفية ، والقيم الجمالية ولذلك يحتاج الى وقت طويل لتقديمه على خشبات المسارح ... يحتاج الى بضعة ايام لا بضعة أسابيع ، ويحتاج الى جهد يسير من الممثل والمخرج ومصمم الديكور يتناسب مع «مسرح المعركة» فالاطار المادى البسيط ، أو المسرح الفقير بتعبير آخر ، هو انسب الاطر المادية لهذا النوع من المسرح .. مسرح بلا مناظر او ملابس فخمة لم هو الفن الذى يستعد الحائط الرابع .. حائط الوهم والايهام « المسرحى » الذى ينبغى ان يتحقق فى الدراما التمثيلية .. والاغنية والقصيدة والملحمة .. توحد بين الاثنين .. توحد الفكر والشعور

ولقد كانت ـ المنصورة ـ تعيش المعركة بالعين « المجردة » لا بالاذن معا ..

وحدها كما كانت تعيش ـ القاهرة ـ .. كانت ترى معارك الطائرات فوق سمائها عدة مرات فى اليوم الواحد .. ولم يكن هناك مناص من اشتراك « مسرح المنصورة » فى المعركة ..

لم يكن لدى الفرقة « مليم » واحد فى خزينتها ، لكن كان فى قلوب ابنائها ايمان عظيم بحتمية المشاركة فى « النوعية والتعبئة » الوطنية .. وخلال اربع ايام فقط كانت الجماهير تسير فى «الاظلام» تبحث عن « نور » الكلمة على مسرح المنصورة . ولم تجد المنصورة .. كما لم تجد القاهرة ايضا ـ الا اشعار زكى عمر .. ترددها وتتصل بها كل الجماهير . وكان عرض ـ الشرارة ـ .. بالفعل ـ شرارة ـ تسرى فى الابدان وللهب الوجدان .

بعض كلمات زكى عمر تقول :

يا طلقة الرصاص
يا كلمة الخلاص
صوت البارودة تال
المعركة عايزة رجال
وما فيش م الحرب مناص
.. ..
يا شعبنا يابو المعارك والنضال
كمبك .. ودق
زندك .. وشق
اسحق فلول المعتدى وارمى السهام
.. ..
مشوارنا لسه من اوله
ومدام عبرنا نكمله
فاتحملوا ..
.. والان ..
.. ..

تقدم المنصورة عرضها السابق والبسيط والمنتهب .. بالقاهرة .. لتقدم لمسارح القاهرة نموذجا لمسرح الاستجابة الفورية . بلا اعتمادات ولا ميزانيات .

احمد عبد الحميد

الجمهورية
ـ حرية ـ اشتراكية ـ وحدة ـ
الاثنين ٥ نوفمبر ١٩٧٣

كلمة الناقد أحمد عبدالحميد

في الجمهورية

المسرح يغني لمصر

" مـــدد .. مـــدد .. شدى حيلك يا بـــلد "

اخيرا اثبت الانسان المصرى احقيته بحضارته البعيدة منذ الفراعنة بعد ان غسل العار عن مصر بعد سنوات الذل الستة .. واذا كان القساتل أيقظ العالم فى سيناء على حقيقة اكاذيب اسرائيل فان الفنان المصرى قد تجاوب سريعا مع وجدان الامة .. لقد ظهر المسرح ليقوم بدوره كاول الفنون استجابة للمشاعر القومية حيث استطاع المسرح الحديث تقديم عرض « مدد مدد شدى حيلك يا بلد » فى ثلاثة ايام لتكون اروع تعبير فنى عن الحرب »

فالعرض المسرحى الذى يشهد اقبالا منقطع النظير فى مسرح الجمهورية يستمعن بالقدمات الشعبية للمواويل والاغانى المصرية بعد تحويرها لتلائم فى كلماتها ومعانيها الحالة الراهنة مع استخدام جديد للالات الموسيقية الغربية التى تعزف عليها فرقة التهار الجان وموسيقى محمد نوح الذى يضع فى زمن الحرب اول تطور حقيقى للموسيقى والاغنية المصرية حيث حررها من الكاتشيات على هجران الحبيب الذى تبدالاغنية سنوات طويلة .

وتصل حالة المشاركة الوجدانية بين الممثلين والموسيقيين وافراد الجمهور فى صالة المسرح الى قمته عندما ينجح العرض فى استثارة عواطفهم والهابها حتى يغنى الجميع معا لمصر .

مدد مدد شدى حيلك يا بلد
ان كان فى ارضك مات شهيد
فيه الف غيره حيتولد

وتستمر الاغانى لتستحضر التاريخ الاسلامى وامجاده فتقول عن سيف الله المسلول خالد بن الوليد .

بكره الوليد جاى من بعيد
راكب خيول فجره الجديد
يا بلدنا قومى احضنيه
دا معاه بشاير الف عيد

بالاضافة الى الاستعانة بالتراث الشعبى للتعبير عن التوقع المستقبلى لحالة الحرب حيث تقول الاغنية

سالمة يا سلامة وعبرنا سينا بالسلامة

ولا يشى اللحن الاستعانة بامجاد الغناء المصرى كاغنية سيد درويش « يا عزيز عينى » فادخل فيها تعديلا فى الكلمات وتوزيعا جديدا للحن القديم .

يا عزيز عينى انا بدى احرر بلدى
بلدى يا بلدى
بلد الابطال يا بلدى

وتتوافق التشكيلات التى رسمها المخرج عبد الغفار عودة مع طبيعة العرض الغنائى الساخن مستغلا امكانيات شعر شاعر المنصورة زكى عمر وامكانيات الممثلين عبد السلام محمد وفؤاد احمد وميرفت سمير فى تكوينات مسرحية معبرة عن الحالة الوجدانية للابطال بكل ما يحملونه من رموز لمصر وشعبها

البسيط الباحث عن الحياة الكريمة فقط .

اخيرا .. لقد استطاع المسرح التقدم ليأخذ دوره الريادى فى التعبير عن وجدان الامة بمثل عرض « شدى حيلك يا بلد » التى تدل على امكانية الفن للقيام بهام ادوار التوعية الجماهيرية وحشدها للمعركة المصيرية .. و .. ما زال الطريق فى بدايته او كما تقول اغانى العرض

مشوارنا لسه فى اوله
وما دام عبرنا نكمله
فاتحملوا .. اتحملوا

حمدى الجابرى

الجمهورية

الجمعة ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣

الكلمة الكاكى

السبت :

ياعام التالت والسبعين
أن كان الحمل ثقيل .. احمل
ياعام التالت والسبعين
أدينا العمر .. وحتى كفوفك دم

العمر ماهوش بالكم
خد منا دقيق القمح .. وقطن الغيط
خد زرع الغيط .. وغموس البيت
فجرنا صباع ديناميت
وشيل من صدر بلدنا الهم

.. ..

ياعام التالت والسبعين
علمنا ازاى نتوضى وندفع ثمن الضحكة
تـــعلمنا ازاى نزحف للمعركة
علمنا اللعبة الصعبة
كن صعب مانزحمناش

أحلامنا كبيرة .. كبيرة .. ماتحرمناش
اعمينا .. اومينا فى قلب الحلبة
علمنا نخطى ازاى «العتبة

.. ..

احذف للكلمة سلاح
امسح بالكلمة الكاكى تراب العار ..

.. ..

ومتقلقوش
مشوارنا لسه فى أوله ..
ومادام عبرنا !
بنكملوا
.. فاتحملوا

بهذه الكلمات البسيطة للشاعر زكى عمر ابن الريف . ينتهى العرض المسرحى الغنائى .. شدى حيلك يابلد

اعجبنى فيها راى مخرجها عبد الغفار عودة الذى وصفها بانها مجرد ((شحنة)) عاطفية ووطنية .

سناء فتح الله

● الاخبار ٥ ١٩٧٣/١١/٦

كلمة الدكتور حمدي الجابري

في صحيفة الجمهورية

الصفحة الثامنة — الجمهورية (العدد الاسبوعى)

شدّى حيلك يابلد ... و"الغول"

مسرح التحريض والقضيّة

الشاعر ذكى عمر

ربما لن يتوفر للحركة المسرحية فى مصر مناخ افضل من الذى تعيشه الان لكى يعيد القائمون عليها والعاملون فيها النظر فيما وصلت اليه ، فالمسرح — مسرح الدولة بالطبع لا يجد ما يقدمه للمعركة سوى اعادة لمسرحية « الغول » و « انجولا » لبيتر فايس، وعرض شعرى أحمد بسرعة للشاعر العامية « ذكى عمر »

بينما كانت الحياة المسرحية الفنية بالكتاب والمخرجين والممثلين والمسرحيين فى شتى المجالات قادرة على ملاءمة ان تحول كل القاعات الخالية الى خشبات مسرح ، وان تقدم عروضا تضاليه شعرا ونثرا فى كل مكان ، وان تعبأ طاقات الممثلين الذين لا يعملون للقيام بجولات واسعة فى كل ارجاء الوطن ، مدنا وقرى،سهم فى التعبئة والتحريض بعروض مسرحية مبتكرة وقصيرة ، وباشكال اداء وتقديم قد تعقد أو ترتجل لتسهم فى ايقاظ الحياة المسرحية وتصبها فى اطارها الصحيح بعيدا عن المنافسة غير المشروعة أو المطلوبة مع المسرح التجارى الذى تحول هذه البعض الى مثل اعلى فى الفن والتجارة معا

ويتسم العرض الشعرى « شدى حيلك يا بلد » بطابع تحريضى اساسا ولا يعود ذلك الى مجموعة اشعار « ذكى عمر » — فى ليست حماسية فحسب ، وانما يعود اساسا الى منهج العرض والاداء والالحان . لا يلف ضجيج الات فرقة الهبار المسرحية التى تصاحب العرض الا حينما تبدأ القراءة الشعرية التى يقدمها بشكل جيد كل من عبد السلام محمد ، وفؤاد احداد ، ومرفت سعيد ، ومحمد المنياوى ، ومحمد منصور

تحرير لقمة العيش

يبشر شعر ذكى عمر النضالى بصداقة خاص لانه ابن حساسية مكتسبة من تجربة عريضة ، ومعاناة طويلة مع الفلاحين وعمال الترحيل ، وهو من هنا يقدم سيالة امينة لقدوتهم الطبيعية على تحمل الالام والمزيد من المعاناة فى سبيل هدف محدد هو التحرير ، ولكن التحرير بالنسبة لهم هو ابدا تحرير لقمة العيش فلا يدى التى تطلب السلاح الان ، وتمنى لصر الغانى عشقا حقيقيا لعميق حقيقى لمعناه عن ابعاد انسانية شديدة الغنى

الغول والقضية

اما مسرحية « الغـــول » التى قدمتها فرقة الهبيب منذ ثلاث سنوات لصبح

مطالبنا زى الشمس واضحة
مطالبنا مفهومة وبسيطة
الارض لمن يزرعها
البيت لمن يبنيه
والسلعة لمن يصنعها

والمدارس للجميع
وينمو العمل الثورى فى" انجولا" ضد الاستعمار تتزايد المقاومة ضد الاستعمار البرتغالى ويتسع القمع الشرسة ضد الوطنيين والمقاومين ولا تهدأ الحرب ، وهى حتى الان لم تهدأ

ويختتم المخرج العرض ختاما متفائلا ، يقول لكل الذين يتألمون ويضحون فى انتظار ساعة الخلاص انها آتية لا ريب فيها «وان ما تقدمونه لن يضيع ابدا هباء

ونستطيع ان نلاحظ ببساطة ان استجابة الجمهور لكل من هذين العرضين هى استجابة — رغم انها تتسم بنقصان حقيقى — لا تتفق تماما مع الرحلة التى نعيشها ، ولا يغيب على المتفرج اليقظ ان يخطط تلك المساحة بين ما نقوله هذه العروض وبين الجمهور والتى لا يتم تجاوزها الا حينما يغنى الجميع « بلادى .. بلادى »

ونحن نتذكر ان هذه الفترة الحية فى تاريخ الفن المسرحى لن تخسر مساهمة تماما من ضياع السنين الماضية

بقلم فريدة النقاش

من اخراج احمد ذكى ... نجحت تجاحا كبيرا ... الرى المسرح الخاص نفسه بان يتسع على متوالها بعد عروضه ، وظل مسرح الهبيب يقدم بعد ذلك عروضا مشابهة ، استعراضية سياسية تتصل احيانا طابعا وتلقيا واخرى طابعا فكريا

« والغول » تنقل القضية من خصوصيتها المحلية الى مستوى اشمل وهو ذلك الشراع الطويل بين الاستعمار وحركات التحرر الوطنى ، بين القهر الاجنبى والمقاومة الشعبية الباسلة ، وهى — اذن — بقدر ما تعرض توضح وتشرح بالارقام والوثائق ، والاحداث المستقاة من واقع حقيقى صاخب ، يقوم بحدته وقسوته اخصب الخيالات ، ويضع القضية مرة اخرى فى حجمها الحقيقى واطارها الذى لا مفر منه وهو جميع قضية التحرير الوطنى بقضية التحرر الاجتماعى

وتعلو موجات الحركة الوطنية فى « انجولا » وتشتد، وتكتسب الانشودة ايقاعا جديدا كلما ازداد « الغول » الاستعمارى شراسة وتراجع « الغول» الاستعمارى هو نفسه الذى يمارس القهر الاجتماعى ، فتنتظم المقاومة له الشعب كله باستثناء الخيانات الفردية ، وتتسع رقعتها وتزداد نظرتها للامور شمولا ، فطالما كانت وتطلب الشهادة بتواضع وصبر لا بد لها ان تدمج كل هذا وجعلها البسيط بالظروف العامة التى تعيشها وتدفع لعملها كل يوم»

ادينى سلاحى وسيبنى
ادينى بدال الكلمة بندق
ادينى بدال البيت العالى خندق

لم ندرة من الناس ، البسطاء الذين يتمتون بفول النفس والقدرة على الاستمرار ، فالمعانة ليست شيئا طارئا فى حياتهم ، وهم ليسوا بحاجة الى اختبار غير الصبر على الصبر والاحتمال ، فذلك هو تاريخهم الطويل ، وفى دعوتهم لا بد ان تندمج قضية التحرير بقضية التقدم الاجتماعى

أبوها المرق يبرد
أبوها الان يتطفى
خلوا العرق رائع

والدعوة للاستمرار فى معركة التحرير والبناء بسيطة وحد لا يتطلب بان يقبل العطاء متصلا ، والا تتكبر ابدا ارادة الجماهير المؤمنة بقضيتها مهما كان الثمن غاليا

ان كان فى ارضك مات شهيد
فيه الف غيره ما يتولد

ورغم الاداء الخاص لكل من « محمد نوح » بصوته القوى المعبر ، ومغنية الاوبرا « سلوى أمام » التى **تعد اكتشافا خصبا فى عالم الاداء** الراقى للالحان الشعبية والقومية فان موسيقى الجاز بالاتها الساخية وضجيجها الذى ينقل المتفرج احيانا الى مناخ شارع الهرم رغم استفادة المخرج من تراث الفلكر وحلقات الانشاد الصوفية كثيرا ما تحجبهن المتفرج افاق ذلك العالم الخصب الذى يتجاوز كل احساسه الوطنى والقومى والانسانى ، ويملؤه بشحنة عظيمة من التوتر والرغبة فى العطاء وتجاوز الفردية الى الاندماج كلية فى عالم الجماعة ، والتوحد مع الارض والوطن الذى يتكشف مع كل

الخميس ٢٥ اكتوبر ١٩٧٣

كلمة الناقدة فريدة النقاش

في الجمهورية

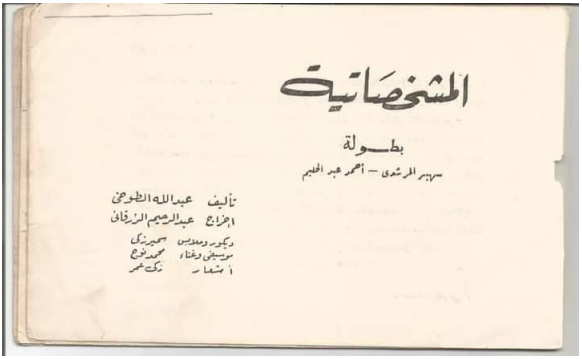

المشخصاتية

بطولة

سهير المرشدي – أحمد عبد الحليم

تأليف عبد الله الطوخي
إخراج عبد الرحيم الزرقاني
ديكور وملابس
موسيقى وغناء
أشعار

هى الديكور ، وضوء القمر وظلاله هى الإضاءة المسرحية والمصطبة وما حولها من شوارع وحارات وأزقة هى الخشبة .

من المسرح المفتوح / المصطبة ، فى القرية ، الى المسرح المغلق ، فى المدينة انتقلت ، راكبًا قطار الكتب المدرسية والمنزلية .. من "كفر الأعز" القريبة الى المنصورة المدينة ، وفى قلبها سكنت ، فى المسرح .

هل تندهش اذا قلت لك أن "البروفات" التدريبات المسرحية كانت تشد فى أكثر من العروض ؟! .. أنا أحب حد العشق مرحلة الولادة ، فى الناس والأشياء .

ما كان يشدنى فى تلك الفترة المبكرة ، هو الحوار المسرحى ، النص .. وشيئًا فشيئًا أصبح لى وجهة نظر فيما أسمعه وأراه وأقرؤه ، فيما أعيشه .. الفكرة .. المعالجة .. الموقف .. الفن .. المنطق .. الإيهام بأن ما يقال على الخشبة ليس من تأليفك ، وانما هو كلام الشخوص التى أنيت تحياها ، كيف ؟ .. فى القرية كنا - العيال - نكتب نصوصنا المسرحية ونمثلها ونخرجها .. ونشاهد الجمهور ونسمعه ، أما هنا فالأمر يختلف .

مواد راد

فى البداية أعددت مسرحية للأطفال المسرح العرائسى ، اسمها "الفانوس" عن قصة قصيرة لعبد الله الطوخى .. لأنها ضاعت من مكتب الدكتور صلاح السقا (!!) والمشكلة أنى لم أحتفظ بنسخة منها ، ثم كتبت أغانى وأشعار "لمسرحية "المشخصاتية" لعبد الله الطوخى وإخراج عبد الرحيم الزرقانى عام ١٩٧٣ .. خرجت من السجن ١٩٧٣ ، وقامت حرب أكتوبر ، فأعددت عرضا مسرحيًا غنائيًا من أشعار دخلت السجن متهمًا بكتابتها وحيازتها "أشعار مناهضة لنظام الحكم" .. أستمر العرض أربعة شهور متتالية ، على خشبة مسرح

زكي عمر يكتب بخط يده انه تم اعتقاله سنة 1973 بسبب مدد

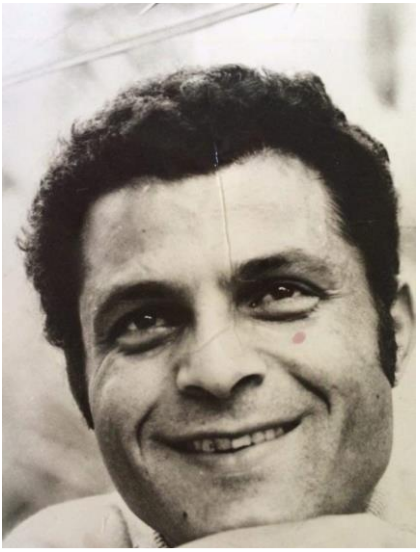

ابتسامة زكي عمر للحياة

وصورة بين أصدقاؤه

زكي عمر في الأعلى أقصى اليسار

وفي الأسفل في المنتصف

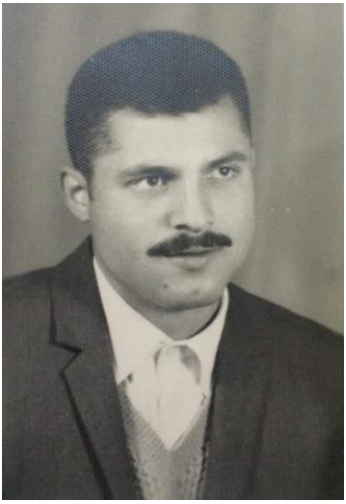

زكي عمر في شبابه

وفي الغربـــة